

علاء الدين

كامل كيلاني



عَلَاءُ الدِّينِ

تأليف
كامل كيلاني



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: حنان بغدادي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٢٣٨ ٩

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٢.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	تَمْهِيدُ
١١	١- السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ
١٩	٢- الْمِصْبَاحُ الْعَجِيبُ
٢٧	٣- بَذْرُ الْبُدُورِ
٣٥	٤- زَوَاجُ الْأَمِيرَةِ
٥١	٥- عَوْدَةُ السَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ
٥٩	٦- انْتِقَامُ عَلَاءِ الدِّينِ
٦٧	٧- شَقِيقُ السَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ

تَمْهِيدُ

فِي بِلَادِ الصِّينِ

(١) مُصْطَفَى الْخَيَّاطُ

أَتَعْرِفُونَ بِلَادَ الصِّينِ، أَيُّهَا الْأَطْفَالُ الْأَعْرَاءُ؟

لَعَلَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِاسْمِهَا، وَمَا أَظُنُّكُمْ قَدْ سَافَرْتُمْ إِلَيْهَا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي حَيَاتِكُمْ؛ فَهِيَ بِلَادٌ بَعِيدَةٌ جِدًّا. وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْصَّ عَلَيْكُمْ شَيْئًا مِمَّا حَدَثَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ. لَقَدْ عَاشَ فِي أَحَدِ بِلَادِ الصِّينِ النَّائِيَةِ (الْبَعِيدَةِ) خَيَّاطٌ نَشِيطٌ اسْمُهُ «مُصْطَفَى». وَقَدْ نَسِيتُ اسْمَ الْبَلَدِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ ذَلِكَ الْخَيَّاطُ؛ لِأَنَّ بِلَادَ الصِّينِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَمَمَالِكُهَا وَاسِعَةٌ فَسِيحَةُ الْأَرْجَاءِ (النَّوَاجِي). وَقَدْ عَاشَ «مُصْطَفَى الْخَيَّاطُ» فِي بَلَدِهِ فَقِيرًا، وَكَانَ يَعْمَلُ طَوْلَ يَوْمِهِ فِي دُكَّانِهِ، لِيَحْصُلَ عَلَى قُوَّتِهِ وَقُوَّتِ زَوْجِهِ وَوَلَدِهِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ — لِفَقْرِهِ الشَّدِيدِ — أَنْ يَدْخِرَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، لِيَنْفَعَ بِهِ زَوْجَهُ وَوَلَدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

(٢) «عَلَاءُ الدِّينِ»

وَلَمْ يَزِرْ قَ «مُصْطَفَى الْخَيَّاطُ» مِنَ الْأَوْلَادِ غَيْرَ وَلَدٍ وَاحِدٍ سَمَّاهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»؛ وَكَانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا. وَلَكِنَّ «مُصْطَفَى الْخَيَّاطُ» كَانَ — كَمَا قُلْتُ لَكُمْ — فَقِيرًا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُعَلِّمَ وَلَدَهُ. وَكَانَ يَتْرُكُهُ يَقْضِي يَوْمَهُ كُلَّهُ فِي خَارِجِ الْبَيْتِ، وَيَلْعَبُ مَعَ أَشْبَاهِهِ مِنَ الْأَوْلَادِ

الَّذِينَ أَلْفَوْا الْبَطَالََةَ وَاللَّعِبَ؛ حَتَّى سَاءَ خُلُقُهُ، وَصَارَ — بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ — أَسْوَأَ مِثَالٍ لِلْأَطْفَالِ. وَكَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» — عَلَى ذِكَايِهِ — شَدِيدَ الْعِنَادِ؛ فَقَدْ نَصَحَ لَهُ أَبُوهُ أَنْ يُقْلِعَ عَنْ مَعَاشِرَةِ الْأَشْرَارِ (يَتْرُكْ مُصَاحِبَتَهُمْ)، وَيَبْتَغِدَ عَنْ رُفَقَاءِ السُّوءِ. وَحَاوَلَ — جُهِدَهُ — أَنْ يَعْلِمَهُ صِنَاعَةً تَنْفَعُهُ إِذَا كَبُرَ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ لَهُ نَصْحًا، وَضَاعَتْ جُهُودُ أَبِيهِ بِلَا فَايِدَةٍ. فَاضْطُرَّ أَبُوهُ إِلَى مُعَاقَبَتِهِ وَزَجْرِهِ (مَنْعِهِ وَنَهْيِهِ)، وَاتَّخَذَ مَعَهُ وَسَائِلَ الْعُنْفِ (الشَّدَّةِ) بَعْدَ أَنْ أَخْفَقَتْ — فِي إِصْلَاحِهِ — وَسَائِلُ اللَّيْنِ، وَلَكِنَّ «عَلَاءَ الدِّينِ» لَمْ يَبَالِ بِعِقَابِ أَبِيهِ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِ زَجْرُهُ وَشِدَّتُهُ. وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى يَيْئَسَ أَبُوهُ مِنْ إِصْلَاحِهِ.

(٣) «عَلَاءُ الدِّينِ» فِي دُكَّانِ أَبِيهِ

وَلَجَأَ أَبُوهُ إِلَى آخِرِ وَسِيلَةٍ عِنْدَهُ؛ فَأَخَذَهُ مَعَهُ إِلَى دُكَّانِهِ لِيُعَلِّمَهُ حِرْفَتَهُ. وَكَانَ يَبْدُلُ وَسْعَهُ فِي تَحْبِيبِ الْعَمَلِ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ مَا إِنَّ يَتْرُكُهُ فِي دُكَّانِهِ — قَلِيلًا مِنَ الزَّمَنِ — حَتَّى يَهْرَبَ مِنْهُ، وَيَقْضِي بَقِيَّةَ يَوْمِهِ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ مَعَ أَصْحَابِهِ. فَعَلِمَ أَبُوهُ أَنَّ وَلَدَهُ لَنْ يُصْلِحَهُ وَيُرَبِّيَهُ إِلَّا الزَّمَنُ وَحْدَهُ، وَأَيَقَنَ أَنَّ دُرُوسَ الْحَيَاةِ الْقَاسِيَةِ كَفِيلَةٌ (ضَامِنَةٌ) بِتَقْوِيمِهِ وَتَهْدِيئِهِ:

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ وَالِدَاهُ أَدَّبَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

(٤) «عَلَاءُ الدِّينِ» بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ، مَرَضَ أَبُوهُ مَرَضًا شَدِيدًا، ثُمَّ مَاتَ وَهُوَ يَأْسُ مِنْ إِصْلَاحِ وَلَدِهِ الَّذِي كَانَ يَرْجُو لَهُ النَّجَاحَ وَالتَّوْفِيقَ. وَلَمْ يَتْرُكْ «مُصْطَفَى الْخَيَّاطُ» — لِرُؤُوسِهِ وَوَلَدِهِ — إِلَّا دُكَّانَهُ الصَّغِيرَ. وَرَأَتْ تِلْكَمُ الْأَرْمَلَةُ (الْمَرْأَةُ الَّتِي مَاتَ زَوْجُهَا) أَنَّ وَلَدَهَا «عَلَاءَ الدِّينِ» لَنْ يَخْلُفَ أَبَاهُ فِي صِنَاعَتِهِ، لِمِيلِهِ إِلَى الْبَطَالََةِ وَاللَّعِبِ؛ فَبَاعَتِ الدُّكَّانَ، وَظَلَّتْ تَقْتَاتُ بِمَنْهِ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ؛ حَتَّى أَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا مِنَ النُّقُودِ.

تَمْهِيدٌ

فَاضْطُرَّتْ إِلَى الْعَمَلِ حَتَّى لَا تَمُوتَ — هِيَ وَلَدَهَا — جُوعًا؛ فَكَانَتْ تَغْرِزُ الْقُطْنَ — طُولَ النَّهَارِ — ثُمَّ تَبِيعُ مَا غَزَلَتْهُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَتَقْتَاتُ — هِيَ وَابْنُهَا «عَلَاءُ الدِّينِ» — بِثَمَنِهِ.

وَحَلَا الْجُودُ لِصَاحِبِنَا «عَلَاءِ الدِّينِ» — بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ — فَأَطْلَقَ لِنَفْسِهِ الْعِنَانَ (مَضَى كَمَا يُرِيدُ، وَتَرَكَ لِنَفْسِهِ الْحُرِّيَّةَ) فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، حَتَّى بَلَغَتْ سِنُّهُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ. وَلَمْ تَكُنْ أُمُّهُ قَادِرَةً عَلَى إِصْلَاحِهِ وَتَحْيِيْبِ الْعَمَلِ إِلَى نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ عَجَزَ أَبُوهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ؛ فَأَسْلَمَتْ أَمْرَهَا لِلَّهِ، وَاکْتَفَتْ بِالدُّعَاءِ لَوَلَدِهَا — فِي صَلَوَاتِهَا — بِالْهَدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ.

الفصل الأول

السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ

(١) اهْتِدَاءُ السَّاحِرِ إِلَى «عَلَاءِ الدِّينِ»

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، كَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» يَلْعَبُ مَعَ رِفَاقِهِ — عَلَى عَادَتِهِ — فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، تَدُلُّ مَلَامَحُهُ وَزِيَّهَ (شَكْلُهُ وَهَيْئَتُهُ مَلَابِسِهِ) عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِ الصِّينِ. وَمَا إِنِّ رَأَاهُ الْغَرِيبُ حَتَّى وَقَفَ يَتَأَمَّلُ فِي هَيْئَتِهِ، وَيَنْفَرُسُ فِي مَلَامِحِهِ (يُدَقِّقُ النَّظَرَ، وَيَتَأَمَّلُ فِيمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ مَشَابِهِ وَجْهِهِ). وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ سَاحِرًا مَشْهُورًا، وَقَدْ نَشَأَ فِي أَحَدِ بِلَادِ الْقَارَةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ، وَتَعَلَّمَ السَّحْرَ — مُنْذُ نَشَأَتِهِ — وَبَرَعَ فِي فُنُونِهِ. وَكَانُوا يُلَقِّبُونَهُ بِالسَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ. وَقَدْ وَصَلَ إِلَى الصِّينِ مُنْذُ يَوْمَيْنِ. فَلَمَّا رَأَى «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَقَفَ يَنْفَرُسُ فِي أَسَارِيرِ وَجْهِهِ (خُطُوطِ جَبِينِهِ)، وَيَتَأَمَّلُ فِي صُورَتِهِ؛ ثُمَّ سَأَلَ أَحَدَ الْأَوْلَادِ عَنِ اسْمِهِ. فَلَمَّا أَخْبَرَهُ أَنَّ اسْمَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» فَرِحَ وَاسْتَبَشَرَ، وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ لَمْ يَخْطِئْ فِي الْاهْتِدَاءِ إِلَى طَلَبَتِهِ (حَاجَتِهِ وَقَصْدِهِ)، وَأَنَّ سَعْيَهُ قَدْ كُلَّلَ (تَوَجَّ) بِالنَّجَاحِ.

(٢) غَرَضُ السَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ

وَكَانَ هَذَا السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ يَقْرَأُ فِي كُتُبِ السَّحْرِ: أَنَّ فِي الصِّينِ كَنْزًا لَا مَثِيلَ لَهُ فِي كُلِّ كُنُوزِ الْأَرْضِ، وَأَنَّ فِي ذَلِكَ الْكَنْزِ مِصْبَاحًا عَجِيبًا مَنْقُوشًا عَلَيْهِ طَلَاسِمٌ (كِتَابَاتٌ خَفِيَّةٌ، وَخُطُوطٌ غَامِضَةٌ) مِنَ السَّحْرِ، إِذَا فَرَكَهَا الْإِنْسَانُ بِيَدِهِ جَاءَهُ خَادِمُ الْمِصْبَاحِ مُلَبِّيًا كُلَّ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُ. وَكَانَ السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ يَعْلَمُ أَنَّ خَادِمَ الْمِصْبَاحِ هُوَ أَكْبَرُ مُلُوكِ الْجِنِّ وَأَقْوَاهُمْ، وَأَكْثَرُهُمْ جُنُودًا؛ وَلَيْسَ فِي اسْتِطَاعَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَفْتَحَ ذَلِكَ الْكَنْزَ أَوْ يَدْخُلَهُ إِلَّا فَتَى



فِي أَحَدِ بِلَادِ الصِّينِ، اسْمُهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» وَاسْمُ أَبِيهِ «مُصْطَفَى الْخَيَّاطُ». فَسَافَرَ السَّاجِرُ إِلَى بِلَادِ الصِّينِ، وَلَمَّا رَأَى «عَلَاءُ الدِّينِ» وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْأَوْلَادِ، رَأَى صُورَتَهُ مُطَابِقَةً لِلصِّفَاتِ الَّتِي قَرَأَهَا عَنْهُ فِي كُتُبِ السَّحْرِ. وَلَمَّا سَمِعَ اسْمَهُ أَيقَنَ أَنَّهُ طَلَبْتُهُ الَّتِي يَبْحَثُ عَنْهَا.

(٣) حِيلَةُ السَّاجِرِ الْإِفْرِيقِيِّ

فَسَأَلَهُ السَّاجِرُ: «أَلَيْسَ اسْمُكَ عَلَاءُ الدِّينِ؟» فَقَالَ لَهُ: «نَعَمْ، هَكَذَا سَمَانِي أَبَوَايَ!» فَقَالَ لَهُ السَّاجِرُ: «أَلَسْتَ ابْنَ مُصْطَفَى الْخَيَّاطِ؟» فَأَجَابَهُ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدِي. وَقَدْ مَاتَ مِنْذُ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ!» فَصَاحَ السَّاجِرُ بَاكِئًا: «يَا اللَّهُ، هَلْ مَاتَ «مُصْطَفَى الْخَيَّاطُ»؟ وَآ حَسْرَتَاهُ! أَيْمُوتَ وَلَا أَرَاهُ؟» ثُمَّ عَانَقَهُ السَّاجِرُ وَقَبَّلَهُ وَالْدُمُوعُ فِي عَيْنَيْهِ تَتَرَفَّرُقُ، (تَدُورُ وَتَتَرَدَّدُ)، وَتَأَوَّاهُ (شَكَا وَتَوَجَّعَ).

وَحِينَئِذٍ ذَكَرَ «عَلَاءُ الدِّينِ» عَطْفَ أَبِيهِ عَلَيْهِ؛ فَبَكَاهُ مَعَ السَّاجِرِ مُتَأَلِّمًا مَحْزُونًا.



(٤) الْعَمُّ الْكَاذِبُ

وَقَدْ عَجِبَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِنْ بُكَاءِ ذَلِكُمُ الْغَرِيبِ عَلَى أَبِيهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِهِ؛ فَقَالَ لَهُ بَاكِيًا: «إِنَّ أَبَاكَ «مُصْطَفَى» هُوَ شَقِيقِي، وَأَنْتَ ابْنُ أَخِي الْعَزِيزِ. وَلَقَدْ كُنْتُ — طُولَ عُمْرِي — مُوَلَعًا (مُحِبًّا مُتَعَلِّقًا) بِالْأَسْفَارِ. وَمَا زِلْتُ أَجُوبُ (أَقْطَعُ وَأَطُوفُ) الْأَقْطَارَ، وَأَرْكَبُ الْبِحَارَ، ثُمَّ حَنَنْتُ إِلَى وَطَنِي، وَاشْتَقْتُ إِلَى أَخِي، وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ أَنْ أَرَاهُ وَهُوَ حَيٌّ! أَهْ، لَقَدْ كَانَ — يَرْحَمُهُ اللَّهُ — شَبِيهَكَ فِي مَلَامِحِهِ. وَفِي هَذَا الشَّبهِ بَعْضُ الْعَزَاءِ (الصَّبْرِ) وَالسَّلْوَةِ (نِسْيَانِ الْحُزَنِ).»

فَانْخَدَعَ «عَلَاءُ الدِّينِ» بِكَلَامِهِ، وَصَدَّقَهُ فِيمَا قَالَ، وَقَبَّلَ يَدَهُ شَاكِرًا لَهُ عَطْفَهُ وَحَنَانَهُ. ثُمَّ سَأَلَهُ السَّاحِرُ: «أَيْنَ تَسْكُنُ يَا وَلَدِي؟»

فَذَكَرَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» الْجِهَةَ الَّتِي يَقْطُنُ (يَقِيمُ) بِهَا، وَالْبَيْتَ الَّذِي يَسْكُنُهُ، هُوَ وَأُمُّهُ. فَأَعْطَاهُ السَّاحِرُ دِينَارَيْنِ، وَقَالَ لَهُ: «ارْجِعْ إِلَى أُمِّكَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّي سَأَزُورُكُمَا — إِذَا اسْتَطَعْتُ — فِي مَسَاءِ الْغَدِ، لِأَرَى الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ شَقِيقِي «مُصْطَفَى» يَسْكُنُهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ.»

(٥) النعمُ الغائبُ

فَانْطَلَقَ (مَثَى) «عَلَاءُ الدِّينِ» إِلَى أُمِّهِ، وَسَأَلَهَا مَدْهُوْشًا: «خَبِّرِينِي — يَا أُمِّي — أَتَعْرِفِينَ أَنْ لِي عَمًّا؟»

فَقَالَتْ مُتَعَجِّبَةً: «لَيْسَ لَكَ — يَا وَلَدِي — عَمٌّ وَلَا خَالَ!»
فَقَصَّ عَلَيْهَا كُلَّ مَا قَالَهُ السَّاحِرُ، وَأَعْطَاهَا الدِّينَارَيْنِ.

فَعَجِبَتْ أُمُّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ لَهُ: «لَقَدْ كَانَ أَبُوكَ — رَحِمَهُ اللَّهُ — يُحَدِّثُنِي أَنَّ لَهُ شَقِيقًا مَاتَ، دُونَ أَنْ يَرَاهُ، مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ؛ فَلَعَلَّ هَذَا هُوَ شَقِيقُ أَبِيكَ الَّذِي كَانَ يَظُنُّهُ قَدْ مَاتَ.»

(٦) فِي بَيْتِ «عَلَاءِ الدِّينِ»

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي رَأَاهُ السَّاحِرُ — وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ رُفَقَائِهِ — فَأَعْطَاهُ دِينَارَيْنِ آخَرَيْنِ، وَقَالَ لَهُ: «خَبِّرْ أُمَّكَ — يَا ابْنَ أَخِي — أَنَّنِي سَأَتَعَشَّى فِي بَيْتِكُمَا اللَّيْلَةَ.» فَاسْرَعَ «عَلَاءُ الدِّينِ» إِلَى أُمِّهِ، وَأَعْطَاهَا الدِّينَارَيْنِ، وَذَكَرَ لَهَا مَا قَالَهُ السَّاحِرُ. فَاسْتَعَارَتْ أُمُّهُ مِنْ جَارَاتِهَا بَعْضَ الْأَوَانِي الثَّمِينَةِ، وَأَعَدَّتْ لَهُ عَشَاءً فَاخِرًا.

وَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ، حَضَرَ السَّاحِرُ، وَمَعَهُ سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِشَتَّى الْأَوَانِ الْفَاكِهَةِ. وَمَا إِنْ رَأَى أُمَّ «عَلَاءِ الدِّينِ» حَتَّى بَكَى — مُتَظَاهِرًا بِالْحُزْنِ عَلَى زَوْجِهَا — وَسَأَلَهَا: «خَبِّرِينِي، يَا زَوْجَ أَخِي الْعَزِيزَةِ: فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ يَجْلِسُ أَخِي الْمَرْحُومُ؟»

فَأَشَارَتْ إِلَى أَرِيكَةِ (مَقْعِدٍ) فِي زَاوِيَةِ الْحُجْرَةِ، وَهِيَ أَرِيكَةٌ طَالَ عَلَيْهَا الْقَدَمُ. فَاشْتَدَّ بُكَاءُ السَّاحِرِ وَجَزَعُهُ (شِدَّةُ حُزْنِهِ)؛ فَطَلَبَتْ إِلَيْهِ السَّيِّدَةُ أَنْ يَجْلِسَ فِي مَكَانِ أَخِيهِ. فَقَالَ لَهَا مُتَلَمِّمًا: «لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجْلِسَ مَكَانَهُ؛ فَإِنِّي لِأَتَحَيَّلُهُ الْآنَ جَالِسًا مَعَنَا، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَيْنَا رُوحُهُ الطَّاهِرُ. رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. لَقَدْ كَانَ يُحِبُّنِي — كَمَا أُحِبُّهُ — أَشَدَّ الْحُبِّ. وَلَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَشَأْ أَنْ أَلْقَاهُ وَأَنْعَمَ بِحَدِيثِهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ.» ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهَا السَّاحِرُ: أَنَّهُ تَرَكَ شَقِيقَهُ — مُنْذُ أَرْبَعِينَ عَامًا — وَأَنَّهُ سَافَرَ إِلَى بِلَادِ «الْهِنْدِ» وَ«فَارِسَ» وَ«بَغْدَادَ»، وَأَنَّهُ جَابَ (قَطَعَ) أَنْحَاءَ الْقَارَةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ، وَقَضَى أَكْثَرَ عُمْرِهِ فِي السَّيَاحَةِ (السَّيْرِ فِي الْبِلَادِ) وَالرَّحْلِ (الْأَسْفَارِ وَالتَّنَقُّلَاتِ).

(٧) الْأَمَانِيُّ الْخَادِعَةُ

ثُمَّ أَلْتَفَتَ السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ إِلَى «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَقَالَ لَهُ مُتَلَطِّفًا: «مَا صِنَاعَتُكَ، يَا ابْنَ أَخِي الْعَزِيزِ؟»

فَحَجَلَ «عَلَاءُ الدِّينِ» وَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ مِنْ شِدَّةِ الْحَجَلِ.
فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «لَيْسَ لَهُ صِنَاعَةٌ إِلَّا الْبَطَالَةُ وَاللِّعْبُ — مَعَ الْأَشْرَارِ — طُولَ النَّهَارِ. وَقَدْ أَرَادَ أَبُوهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ صِنَاعَةً تَنْفَعُهُ — إِذَا كَبِرَ — فَلَمْ يُوفِّقْ فِيمَا أَرَادَ. وَحَاوَلْتُ جُهْدِي أَنْ أُحِبِّبَ إِلَيْهِ الْعَمَلَ، فَعَجَزْتُ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا عَجَزَ أَبُوهُ مِنْ قَبْلُ.» فَأَبْدَى السَّاحِرُ دَهْشَتَهُ مِنْ خِيْبَةِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَظَلَّ يَنْصَحُ لَهُ مُتَلَطِّفًا، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ شَتَّى الصَّنَاعَاتِ؛ لِيَتَخَيَّرَ مِنْهَا وَاحِدَةً. وَلَكِنْ «عَلَاءُ الدِّينِ» سَكَتَ، فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ: «إِذَا كُنْتَ لَا تَمِيلُ إِلَى الصَّنَاعَةِ فَمَا أَطْنُكَ تَكْرَهُ التَّجَارَةَ؟ فَإِذَا شِئْتَ — يَا ابْنَ أَخِي — أَنْ تَكُونَ تاجِرًا، فَإِنِّي مُشْتَرٍ لَكَ — بَعْدَ غَدٍ — دُكَّانًا فِي سُوقِ التُّجَّارِ، وَسَأُحْضِرُ لَكَ فِيهِ أَفْخَرَ الْأَثْوَابِ وَأَجْوَدَهَا (أَحْسَنَهَا).» فَفَرِحَ «عَلَاءُ الدِّينِ» وَشَكَرَ لَهُ عِنَايَتَهُ بِأَمْرِهِ، وَشَعَرَ بِمَيْلٍ (رَغْبَةٍ وَحُبٍّ) شَدِيدٍ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ حَيَاةِ الْبَطَالَةِ وَاللِّعْبِ، وَبَدَأَ حَيَاةَ الرُّجُولَةِ وَالْجِدِّ.

وَكَانَتْ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ» تَرْتَابُ (تَشْكُ) فِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ شَقِيقُ زَوْجِهَا، وَلَكِنَّهَا آمَنَتْ — الْآنَ — بِصِحَّةِ دَعْوَاهُ، بَعْدَ أَنْ رَأَتْ اهْتِمَامَهُ بَوْلَدِهَا، وَجَرَّصَهُ عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ.
ثُمَّ جَاءَ وَقْتُ الْعِشَاءِ فَأَكَلُوا جَمِيعًا. وَظَلَّ السَّاحِرُ يُمْنِيهِمَا الْأَمَانِيُّ الْكَاذِبَةُ، حَتَّى مَضَى هَزِيعُ (قِسْمٌ كَبِيرٌ) مِنَ اللَّيْلِ، فَوَدَّعَهُمَا السَّاحِرُ، مُسْتَأْذِنًا فِي الْإِنْصِرَافِ.

(٨) مَادِبَةُ السَّاحِرِ

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، ذَهَبَ السَّاحِرُ مَعَ «عَلَاءِ الدِّينِ» إِلَى السُّوقِ، وَاشْتَرَى لَهُ أَفْخَرَ الْمَلَابِسِ، ثُمَّ دَعَا أَعْيَانَ التُّجَّارِ إِلَى فُنْدُوقِهِ (الْحَانَ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ). وَأَدَبَ لَهُمُ السَّاحِرُ مَادِبَةً فَاخِرَةً (أَعَدَّ لَهُمْ مَأْكَلَ طَيِّبَةً، وَدَعَاهُمْ لِنَتَاوُلِهَا)، وَعَرَفَهُمْ بِصَاحِبِنَا «عَلَاءِ الدِّينِ». ثُمَّ عَادَ بِهِ — بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَادِبَةِ — إِلَى الْبَيْتِ مَسْرُورًا. وَمَا إِنْ رَأَتْ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ» وَلَدَهَا — فِي ثِيَابِهِ الْجَدِيدَةِ الْفَاخِرَةِ — حَتَّى امْتَلَأَتْ نَفْسُهَا فَرَحًا وَغِبْطَةً، وَشَكَرَتْ لِلْسَّاحِرِ — أَجْزَلَ الشُّكْرِ — صَنِيعَهُ (جَمِيلَهُ)، وَأَيَّقَنْتْ أَنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ — قَدْ أَجَابَ دُعَاءَهَا لَوْلَدِهَا؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ



هَذَا الْمَلِكَ (الرُّوحَ السَّامَوِيَّ) الْكَرِيمَ، لِيُبَدِّلَ شَقَاوَتَهُ سَعَادَةً، وَفَقْرَهُ غِنًى. وَأَوْصَتْ وَلَدَهَا بِطَاعَتِهِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ. فَقَالَ لَهَا السَّاحِرُ: «لَقَدْ كُنْتُ مُعْتَزِّمًا عَلَى شِرَاءِ الدُّكَّانِ لَوْلَدِكَ غَدًا، وَلَكِنَّ التُّجَّارَ لَا يَعْمَلُونَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ. وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَصْحَبَهُ — فِي الْيَوْمِ التَّالِي — لَيَتَنَزَّرُهُ مَعِيَ فِي ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ أَشْتَرِي لَهُ الدُّكَّانَ — بَعْدَ غَدٍ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ.»

(٩) فِي ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ

ثُمَّ جَاءَ السَّاحِرُ — فِي الْيَوْمِ التَّالِي — فَرَأَى الْوَلَدَ مُتَاهِبًا (مُسْتَعِدًّا) لِلْخُرُوجِ، وَهُوَ يَكَادُ يَطِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ. فَمَشَى مَعَهُ السَّاحِرُ، وَظَلَّ يُرِيهِ الْحَدَائِقَ الْجَمِيلَةَ وَالْقُصُورَ الْفَخْمَةَ، وَيُمْنِيهِ الْأُمَانِيَّ وَالْوُعُودَ الْخَلَابَةَ (الْحَدَاةَ)، لِيُنْسِيَهُ عَنَاءَ السَّيْرِ، حَتَّى تَعَبًا. فَجَلَسَا يَأْكُلَانِ مِنْ طَعَامٍ فَاخِرٍ، كَانَ السَّاحِرُ قَدْ أَعَدَّهُ ثُمَّ اسْتَأْنَفَا (أَعَادَا) السَّيْرَ، فِي الْخَلَاءِ (الْفَضَاءِ) الْخَالِي مِنَ الْعُمَرَانِ)، بَعْدَ أَنْ اجْتَارَا (تَرَكََا) ضَوَاحِيَ الْمَدِينَةِ (نَوَاجِيهَا الظَّاهِرَةَ حَوْلَهَا). وَمَا زَالَا سَائِرِينَ حَتَّى تَعَبَ «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَلَمْ يَسْتَطِعِ السَّيْرَ. فَطَلَبَ مِنَ السَّاحِرِ أَنْ يَعُودَ بِهِ.

فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ مُتَلَطِّفًا: «سَأْرِيكَ — بَعْدَ قَلِيلٍ — مَا لَمْ تَرَهُ عَيْنًاكَ». فَلَمْ يَسْتَطِعْ «عَلَاءُ الدِّينِ» أَنْ يُخَالِفَهُ. وَظَلَّ السَّاحِرُ يَرَوِي لَهُ — وَهُمَا سَائِرَانِ — أَغْرَبَ الْقِصَصِ؛ لِيَهْوُونَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ.

(١٠) الْوُصُولُ إِلَى الْكَنْزِ

وَمَا زَالَا سَائِرَيْنِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى جَبَلَيْنِ قَلِيلَيِ الِارْتِفَاعِ، يَفْصِلُهُمَا وَادٍ ضَيِّقٌ. فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ: «سَتَرَى الْأَنَ مَا لَمْ يَخْطُرْ لَكَ عَلَى بَالٍ».

ثُمَّ جَمَعَ «عَلَاءُ الدِّينِ» قَلِيلًا مِنَ الْأَعْشَابِ، وَأَوْقَدَ فِيهَا السَّاحِرَ النَّارَ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهَا قَلِيلًا مِنَ الْبُخُورِ. وَجَمَعَ (نَطَقَ، وَلَمْ يُبَيِّنِ الْحُرُوفَ فِي نَطْقِهِ)، وَتَمَتَّمَ أَلْفَاظًا مِنَ السُّحْرِ، لَمْ يَفْهَمْ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِنْهَا شَيْئًا. فَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ (اهْتَزَّتْ وَارْتَجَّتْ)، ثُمَّ انْشَقَّتْ، وَظَهَرَ — أَمَامَهُمَا — حَجَرٌ مُرَبَّعٌ فِي وَسْطِهِ حُلُقَةٌ مِنَ الْحَدِيدِ.

فَفَزِعَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِمَّا رَأَى، وَتَمَلَّكَ الْخَوْفُ، وَهَمَّ بِالْفِرَارِ مِنْ فَرْطِ الدُّعْرِ (مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ)؛ فَصَفَعَهُ السَّاحِرُ (ضَرَبَهُ بِيَدِهِ مَبْسُوطَةً عَلَى وَجْهِهِ) صَفْعَةً شَدِيدَةً، وَهَدَدَهُ بِالْمَوْتِ، إِذَا حَاوَلَ الْهَرَبَ. فَارْتَجَفَ «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَعَجِبَ مِنْ قَسْوَتِهِ الَّتِي لَمْ يَأْلَفْهَا مِنْهُ مِنْ قَبْلُ، وَسَأَلَهُ بِاِكْيَا: «أَيُّ ذَنْبٍ جَنَيْتُ — يَا عَمِّي — حَتَّى تُعَاقِبَنِي عَلَيْهِ هَذَا الْعِقَابَ؟» فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ: «أَلَسْتُ عَمَّكَ؟ فَكَيْفَ تُخَالِفُ أَمْرِي؟»

ثُمَّ لَاطَفَهُ وَالْآنَ لَهُ الْقَوْلَ، وَمَنَّاهُ الْوُعُودَ الْكَاذِبَةَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: «لَقَدْ جِئْتُ بِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الْبَعِيدِ لِأُرْشِدَكَ إِلَى كَنْزٍ يُغْنِيكَ طُولَ حَيَاتِكَ، وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ هَذَا الْكَنْزَ. فَكَيْفَ تَرَفُضُ سَعَادَةً لَمْ تَكُنْ لِتَحْلُمَ بِهَا طُولَ عُمْرِكَ؟»

فَفَرِحَ «عَلَاءُ الدِّينِ» بِاِهْتِدَائِهِ إِلَى هَذَا الْكَنْزِ، وَقَبَّلَ يَدَ السَّاحِرِ، شَاكِرًا لَهُ ذَلِكَ الصَّنِيعَ.



الفصل الثاني

المِصْبَاحُ الْعَجِيبُ

(١) وَصِيَّةُ السَّاحِرِ

ثُمَّ قَالَ لَهُ السَّاحِرُ: «ارْفَعْ هَذَا الْحَجَرَ، بَعْدَ أَنْ تَنْطِقَ بِاسْمِكَ وَاسْمِ أَبِيكَ وَجَدَّكَ؛ لَيْسَهُلَ عَلَيْكَ رَفْعُهُ».

فَأَطَاعَ أَمْرَ السَّاحِرِ بِلَا تَرَدُّدٍ؛ فَرَأَى سُلَّمًا يَصِلُ إِلَى دَاخِلِ الْكَنْزِ. فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ: «انْتَبِهْ إِلَى كُلِّ مَا أَقُولُهُ لَكَ، وَإِلَّا عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْهَلَاكِ: سَتَرَى فِي آخِرِ هَذَا السَّلَمِ بَابًا مَفْتُوحًا فَادْخُلْهُ. وَتَمَّ (هُنَاكَ) تَرَى ثَلَاثَ غُرَفٍ كَبِيرَةٍ فِي طَرِيقِكَ. وَعَلَى جَانِبِي كُلِّ غُرْفَةٍ حَقَائِبُ (جَمْعُ حَقِيبَةٍ، وَهِيَ الَّتِي يَضَعُ فِيهَا الْمُسَافِرُ أَشْيَاءَهُ)، وَجِرَارٌ (أَوْعِيَّةٌ مِنَ الْفَخَّارِ). وَهَذِهِ الْحَقَائِبُ وَالْجِرَارُ مَمْلُوءَةٌ بِالذَّهَبِ وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ — كَاللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُودِ — فَاجْتَزِّهَا (مُرَّ بِهَا) بِسُرْعَةٍ، وَحَذَارٍ (احْذَرِ) أَنْ تَمَسَّهَا بِيَدِكَ، أَوْ يَلْمُسَهَا طَرَفُ ثَوْبِكَ، وَإِلَّا هَلَكْتَ لِسَاعَتِكَ.

فَإِذَا انْتَهَيْتَ مِنْ ذَلِكَ، رَأَيْتَ أَمَامَكَ حَدِيقَةً جَمِيلَةً، أَشْجَارُهَا مِنَ الذَّهَبِ، وَثِمَارُهَا مِنَ اللَّالِئِ النَّادِرَةِ، فَاجْتَزِّهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى شُرْفَةٍ كَبِيرَةٍ (بِنَاءٍ بَارِزٍ مِنَ الْحَائِطِ) — فِي وَسْطِهَا نَافِذَةٌ صَغِيرَةٌ جِدًّا — عَلَيْهَا مِصْبَاحٌ مُضِيءٌ؛ فَاحْمِلْهُ بِيَدِكَ، ثُمَّ أَطْفِئْهُ، وَانْزِعْ شَرِيطَةً، وَاسْكُبْ مَا فِيهِ مِنَ الزَّيْتِ، وَأَحْضِرْهُ إِلَيَّ.

وَإِذَا أَعْجَبَكَ شَيْءٌ مِنْ ثِمَارِ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَاقْطِفْ مَا تَشَاءُ، فَلَيْسَتْ مُحَرَّمَةً عَلَيْكَ. ثُمَّ نَزَعَ السَّاحِرُ — مِنْ إَصْبَعِهِ — خَاتَمًا، وَوَضَعَهُ فِي إَصْبَعِ «عَلَاءِ الدِّينِ»؛ لِيَحْرُسَهُ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ.

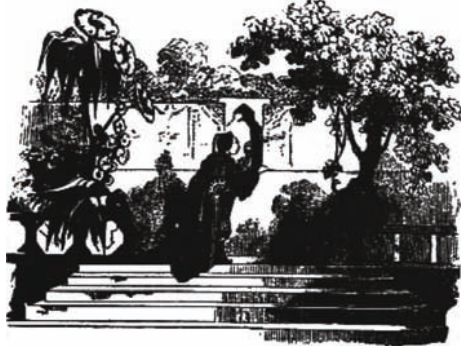


(٢) فِي دَاخِلِ الْكَنْزِ

وَسَارَ «عَلَاءُ الدِّينِ» فِي دَاخِلِ الْكَنْزِ. وَكَانَ يَقْضَا فِي تَنْفِيزِ وَصِيَّةِ السَّاحِرِ — بِدِقَّةٍ وَانْتِبَاهٍ — حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمِصْبَاحِ؛ فَأَخَذَهُ وَنَزَعَ شَرِيطَهُ مِنْهُ، وَأَلْقَى مَا فِيهِ مِنَ الزَّيْتِ. ثُمَّ عَادَ إِلَى الْحَدِيقَةِ، فَقَطَفَ مِنْ ثِمَارِهَا مَا شَاءَ، وَانْتَقَى (اخْتَارَ) مَا أَعْجَبَهُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مِنَ الْمَاسِ وَالزُّمُرُودِ وَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ. ثُمَّ سَارَ فِي طَرِيقِهِ عَائِدًا إِلَى السَّاحِرِ، وَهُوَ لَا يَكَادُ يَقْوَى عَلَى السَّيْرِ لِكثَرَةِ مَا يَحْمِلُ مِنَ الثَّمَرَاتِ النَّادِرَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالنَّفَائِسِ (الْأَشْيَاءِ الْغَالِيَةِ). ثُمَّ نَادَى السَّاحِرَ: «خُذْ بِيَدِي — يَا عَمِّي — وَأَعْنِي عَلَى الصُّعُودِ.»

فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ، وَكَانَ يَتَرَقَّبُ وَصُولَهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ: «أَعْطِنِي الْمِصْبَاحَ أَوَّلًا — يَا ابْنَ أَخِي — حَتَّى لَا يُضَايِقَكَ.»

فَقَالَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»: «كَلَّا — يَا عَمِّي — فَهُوَ خَفِيفٌ جِدًّا.»



فَأَصَرَ السَّاحِرُ عَلَى أَخِذِ الْمُصْبَاحِ أَوَّلًا، وَأَصَرَ «عَلَاءَ الدِّينِ» — بَعْدَ أَنْ فَطَنَ إِلَى سُوءِ نِيَّتِهِ — عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْكَنْزِ، قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَهُ الْمُصْبَاحُ.

(٣) انْتِقَامُ السَّاحِرِ

فَغَضِبَ السَّاحِرُ عَلَيْهِ (أَبْغَضَهُ وَأَحَبَّ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ)، وَالْقَى شَيْئًا مِنَ الْبُخُورِ عَلَى النَّارِ، وَجَمَعَ أَقْوَالَ مِنَ السُّحْرِ، فَعَادَ الْحَجَرَ إِلَى مَكَانِهِ مِنْ قُورِهِ. وَسَارَ السَّاحِرُ فِي طَرِيقِهِ عَائِدًا إِلَى بَلَدِهِ الْبَعِيدِ.

وَنَدِمَ «عَلَاءُ الدِّينِ» عَلَى إِصْرَارِهِ وَعِنَادِهِ؛ فَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ: «أَخْرِجْنِي — يَا عَمِّي — وَخُذِ الْمُصْبَاحَ».

فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ. وَلَمْ يُطِقْ «عَلَاءُ الدِّينِ» أَنْ يَبْقَى فِي ظُلْمَةِ الْكَنْزِ؛ فَحَاوَلَ الْعُودَةَ إِلَى الْحَقِيقَةِ، فَرَأَى الْمَنَافِذَ كُلَّهَا مَسْدُودَةً؛ فَأَيَّقَنَ أَنَّهُ سَيَهْلِكُ، وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الْكَنْزَ سَيَكُونُ قَبْرَهُ. فَأَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ. وَظَلَّ فِي هَذَا الصُّيْقِ يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ.

وَكَانَ يَذْكُرُ — فِي كُلِّ لَحْظَةٍ — مَا كَانَ يَجْلُبُهُ عَلَى أَبِيهِ وَأُمِّهِ مِنَ الْكَدْرِ، لِكثَرَةِ عَصْيَانِهِ وَعِنَادِهِ، فَيَتَذَكَّرُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ النَّدَمِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ — سُبْحَانَهُ — لَمْ يُوَقِّعْهُ فِي هَذَا الْمَازِقِ الْحَرِجِ (الضِّيقِ) إِلَّا مُعَاقِبَةً لَهُ عَلَى سُوءِ عَمَلِهِ.

(٤) الْفَرْجُ بَعْدَ الضِّيقِ

وَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ اشْتَدَّ بِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَزَادَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ وَالْأَلَمُ؛ فَبَكَى — نَادِمًا عَلَى ذُنُوبِهِ — وَرَفَعَ يَدَيْهِ مُسْتَغْفِرًا تَائِبًا، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحَرَجِ (الضِّيقِ) فَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ وَقَبِلَ تَوْبَتَهُ. وَلَمَسَتْ إِحْدَى يَدَيْهِ الْخَاتَمَ الَّذِي وَضَعَهُ السَّاحِرُ فِي إِصْبَعِهِ؛ فَظَهَرَ أَمَامَهُ جَنِّيٌّ كَبِيرٌ هَائِلٌ الْجِسْمِ، وَقَالَ لَهُ: «لَبَّيْكَ، يَا مَوْلَايَ. مُرْنِي أُطْعِمَكَ! فَإِنَّا خَادِمُكَ الْمُخْلِصُ الْأَمِينُ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَعَبْدُ كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ هَذَا الْخَاتَمَ الَّذِي فِي إِصْبَعِكَ.»



فَعَجِبَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِمَّا سَمِعَ. وَقَالَ لَهُ يَأْسَا: «أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَنِي مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، إِذَا اسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.»
فَرَفَعَهُ الْجَنِّيُّ إِلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ؛ فَفَرِحَ «عَلَاءُ الدِّينِ» بِنَجَاتِهِ مِنَ الْمَوْتِ، وَصَلَّى شَاكِرًا لِلَّهِ خَلَاصَهُ مِنَ الضِّيقِ، وَسَلَامَتَهُ مِنَ الْهَلَاكِ.

(٥) «عَلَاءُ الدِّينِ» فِي بَيْتِ أُمِّهِ

وَسَارَ «عَلَاءُ الدِّينِ» فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ أُمِّهِ، وَكَانَ مِنْهُوَك الْقَوَى (ضَعِيفًا) — لِشِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالسَّهَرِ — فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ إِلَّا بِجُهْدٍ شَدِيدٍ.
وَكَانَتْ أُمُّهُ لَا تَنَامُ لِشِدَّةِ مَا لَحِقَهَا مِنَ الْجَزَعِ وَالْقَلَقِ عَلَى وَلَدِهَا فِي أَثْنَاءِ غِيَابِهِ فَظَلَّتْ تَدْعُو اللَّهَ — فِي صَلَوَاتِهَا — أَنْ يَحْفَظَهُ مِنْ كُلِّ أَدَى وَسُوءٍ. وَمَا إِنْ رَأَتْهُ حَتَّى امْتَلَأَ قَلْبُهَا فَرَحًا بِعَوْدَتِهِ. وَلَكِنْ فَرَحَهَا لَمْ يَطُلْ؛ فَقَدْ ارْتَمَى «عَلَاءُ الدِّينِ» أَمَامَهَا مَغْشِيًا (مُغْمًى) عَلَيْهِ — لِشِدَّةِ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ التَّعَبِ — فَبَذَلَتْ أُمُّهُ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهَا حَتَّى أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ (صَحَا مِنْ إِغْمَائِهِ). وَمَا أَفَاقَ حَتَّى قَالَ لِأُمِّهِ مُتَلَهِّفًا: «أَحْضِرِي لِي طَعَامًا — يَا أُمِّي — فَقَدْ كَادَ الْجُوعُ يَهْلِكُنِي.» فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ كِسْرَةً مِنَ الْخُبْزِ — هِيَ كُلُّ مَا فِي بَيْتِهَا مِنْ طَعَامٍ — فَأَكَلَهَا بِشَهِيَّةٍ عَجِيبَةٍ. وَلَمَّا سَأَلَتْهُ عَنْ سَبَبِ غِيَابِهِ الطَّوِيلِ، قَصَّ عَلَيْهَا كُلَّ مَا حَدَثَ لَهُ. فَدَهِشَتْ، وَعَجِبَتْ مِنْ غَدْرِ السَّاجِرِ الْخَبِيثِ، وَحَمَدَتْ اللَّهَ عَلَى نَجَاةِ وَلَدِهَا مِنَ الْهَلَاكِ. ثُمَّ أَعْطَاهَا «عَلَاءُ الدِّينِ» كُلَّ مَا أَحْضَرَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْكَنْزِ (نَفَائِيسِهِ الْمَخْبُوءَةِ). فَحَسَبَتْهُ — لِجَهْلِهَا بِهِ — قِطْعًا مِنَ الزُّجَاجِ الْمُلَوَّنِ، وَوَضَعَتْهُ فِي صُنْدُوقِهَا.
ثُمَّ نَامَ «عَلَاءُ الدِّينِ» — طَوِيلَ لَيْلَتِهِ — نَوْمًا عَمِيقًا. وَاسْتَيْقَظَ — فِي ضُحَى الْيَوْمِ التَّالِيِ — وَقَدْ عَادَ إِلَيْهِ نَشَاطُهُ الْأَوَّلُ.

(٦) الْمُصْبَاحُ السَّخَرِيُّ

وَاشْتَهَى «عَلَاءُ الدِّينِ» الطَّعَامَ، فَلَمْ تَجِدْ أُمُّهُ شَيْئًا تَقْدِّمُهُ لَهُ. وَأَرَادَتْ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى السُّوقِ لِتَبْتَيعَ مَا غَزَلَتْهُ مِنَ الْقُطْنِ، وَتَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ طَعَامًا لَوْلَدِهَا. فَقَالَ لَهَا: «أَحْضِرِي الْمِصْبَاحَ الَّذِي أَتَيْتُ بِهِ مِنَ الْكَنْزِ لِأَبِيعَهُ فِي السُّوقِ، وَادْخِرِي هَذَا الْغَزَلَ لَوْفَتِ الْحَاجَةِ.»

فَلَمَّا جَاءَتْ بِالْمُصْبَاحِ، أَرَادَتْ أَنْ تُزِيلَ مَا لَصِقَ بِهِ مِنَ الْأَوْسَاحِ، فَأَحْضَرَتْ قَلِيلًا مِنَ الرَّمْلِ لِنَتْنِظْفِهِ. وَمَا إِنَّ حَكَّتِ الْمُصْبَاحَ بِيَدِهَا، حَتَّى ظَهَرَ أَمَامَهَا جَنِّيٌّ هَائِلُ الْجِسْمِ، وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَالٍ كَالرَّعْدِ: «لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ (أَجَبْتُكَ)! مَاذَا تُرِيدِينَ، يَا سَيِّدَتِي؟ فَإِنِّي رَهِينُ إِشَارَتِكَ (حَبَسْتُ نَفْسِي لِطَاعَتِكَ فِيمَا تَأْمُرِينَ بِهِ)، وَأَنَا خَادِمُكَ، وَخَادِمُ كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ هَذَا الْمُصْبَاحَ.»

فَامْتَلَأَ قَلْبُهَا رُغْبًا، وَارْتَمَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَعِ. وَأَدْرَكَ «عَلَاءُ الدِّينِ» حَقِيقَةَ الْأَمْرِ — فَقَدْ رَأَى شَبِيهَ هَذَا الْجَنِيِّ فِي الْكَنْزِ — فَلَمْ يُضِعْ وَقْتَهُ عَبَثًا، بَلْ بَادَرَ بِحَمْلِ الْمُصْبَاحِ وَقَالَ لِلْجَنِيِّ بِلَا تَرَدُّدٍ: «نَحْنُ جَائِعَانِ، فَأَحْضِرْ لَنَا طَعَامًا نَأْكُلُهُ أَهْلًا الْجَنِّيُّ الْكَرِيمُ.»



فَاسْتَخْفَى الْجَنِّيُّ لَحِظَةً، ثُمَّ عَادَ وَمَعَهُ مَائِدَةٌ فَخْمَةٌ، عَلَيْهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ صَحْفَةً مِنَ الْفِضَّةِ (وَالصَّحْفَةُ هِيَ: الْإِنَاءُ يُؤْكَلُ فِيهِ). وَفِيهَا أَفْخَرُ أَلْوَانِ الطَّعَامِ وَالْفَاكِهَةِ،

وَالِى جَانِبِهَا سِتَّةَ أَرْغَفَةٍ؛ فَوَضَعَهَا أَمَامَهُ، وَاسْتَحْفَى. وَبَدَلَ «عَلَاءَ الدِّينِ» كُلَّ مَا فِي
وُسْعِهِ حَتَّى أَفَاقَتْ أُمُّهُ. فَدَهَشَتْ حِينَ رَأَتْ تِلْكَ الْمَائِدَةَ الْفَاحِرَةَ، وَسَأَلَتْ وَلَدَهَا: كَيْفَ
أَحْضَرَهَا؟ فَقَصَّ عَلَيْهَا مَا حَدَثَ، فَرَادَ عَجَبُهَا وَدَهَشْتُهَا. وَأَكَلَتْ مَعَ وَلَدِهَا حَتَّى شَبِعَا.
وَبَقِيَ مِنَ الطَّعَامِ أَكْثَرُهُ، فَأَكَلَهُ فِي الْيَوْمَيْنِ التَّالِيَيْنِ.



(٧) بَيْعُ الصَّحَافِ

وَلَمْ تَطُقْ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ» أَنْ تَرَى الْمُصْبَاحَ أَمَامَهَا، فَطَلَبَتْ مِنْ وَلَدِهَا أَنْ يَبِيعَهُ فِي
السُّوقِ، أَوْ يَخْبَأَهُ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ، حَتَّى لَا تَرَى الْجِنِّيَّ أَمَامَهَا مَرَّةً أُخْرَى. فَوَعَدَهَا «عَلَاءُ
الدِّينِ» خَيْرًا، وَمَا زَالَ بِهَا حَتَّى طَمَأْنَنَهَا وَأَزَالَ مَخَافَهَا. وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُزْعِجَهَا — فِي
الْيَوْمِ التَّالِي — بِاسْتِدْعَاءِ الْجِنِّيِّ، فَبَاعَ إِحْدَى الصَّحَافِ (الْأَنِيبَةِ الَّتِي يُؤْكَلُ فِيهَا) لِصَائِغٍ
— فِي الْمَدِينَةِ — بِدِينَارٍ، وَاشْتَرَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَعْطَى أُمُّهُ مَا بَقِيَ مِنَ
النُّقُودِ. ثُمَّ بَاعَ الصَّائِغُ — بَعْدَ أَيَّامٍ — صَحْفَةً أُخْرَى بِدِينَارٍ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى لَمْ
يَبْقَ عِنْدَهُ مَا يَبَاعُ. فَانْتَهَزَ يَوْمًا فُرْصَةَ غِيَابِ أُمِّهِ، وَحَكَ الْمُصْبَاحَ بِرِفْقٍ؛ فَلَبَّاهُ الْجِنِّيُّ
(أَجَابَهُ) مُتَرَفِّقًا؛ فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُحْضِرَ لَهُ طَعَامًا.
وَبَعْدَ لَحْظَةٍ قَلِيلَةٍ أَحْضَرَ لَهُ الْجِنِّيُّ مَائِدَةً فَاحِرَةً مُمَائِلَةً لِلْأُولَى.

وَكَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» — حِينِيذٍ — قَدْ كَرِهَ مُصَاحَبَةَ الْأَشْرَارِ، وَشَعَرَ بِوَاجِبِهِ نَحْوَ أُمِّهِ وَنَفْسِهِ، فَعَاشَرَ أَخْيَارَ الرِّجَالِ وَسَرَادَةَ النَّاسِ (أَشْرَافَهُمْ وَسَادَتَهُمْ)، وَأَفَادَ مَنْ آرَأَاهُمْ وَخَبَّرَتَهُمْ.

وَاتَّسَعَتْ مَعْرِفَتُهُ بِهِمْ، فَأَدْرَكَ أَنَّ الصَّائِغَ الْأَوَّلَ قَدْ خَدَعَهُ وَعَبَّنَهُ (غَلَبَهُ وَنَقَصَهُ فِي الثَّمَنِ)؛ فَذَهَبَ — فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ — إِلَى صَائِغٍ آخَرَ، فَبَاعَهُ إِحْدَى الصُّحَافِ بِثَلَاثِينَ دِينَارًا. وَظَلَّ «عَلَاءُ الدِّينِ» يَعْيشُ مَعَ أُمِّهِ عَيْشَةً رَاضِيَةً، وَقَدْ ابْتَسَمَ لَهُمَا الدَّهْرُ، وَصَفَا لَهُمَا الْعَيْشُ، سَنَوَاتٍ عِدَّةً وَأَصْبَحَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِنْ أَغْنِيَاءِ بَلَدِهِ وَأَعْيَانِهِ الْمَعْرُوفِينَ. وَقَدْ أَحَبَّهُ كُلُّ مَنْ عَرَفَهُ لِحُسْنِ آدِبِهِ وَجَمَالِ أَخْلَاقِهِ.

الفصل الثالث

بَدْرُ الْبُدُورِ

(١) بِنْتُ الْإِمْبَرَاطُورِ

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ كَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» يَجُولُ فِي الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ بِأَنَّ الْأَمِيرَةَ «بَدْرَ الْبُدُورِ»: بِنْتُ إِمْبَرَاطُورِ الصِّينِ، سَتَخْرُجُ — بَعْدَ قَلِيلٍ — مِنْ قَصْرِهَا إِلَى الْحَمَّامِ، لِتَسْتَحِمَّ فِيهِ. فَدَفَعَهُ حُبُّ الْإِسْتِطْلَاعِ إِلَى رُؤْيَيْهَا، وَلَمْ يَكُنْ رَأَاهَا فِي حَيَاتِهِ مِنْ قَبْلُ.

وَلَمَّا مَرَّتِ الْأَمِيرَةُ، وَهِيَ ذَاهِبَةٌ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الْحَمَّامِ، وَحَوْلَهَا الْحُرَّاسُ وَرِجَالُ الشُّرْطَةِ (عَسَاكِرُ الطَّرِيقِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ الْأَمْنَ)، رَأَاهَا «عَلَاءُ الدِّينِ» فَأَعْجَبَ بِجَمَالِهَا وَخَفَّفَ رُوحَهَا.

ثُمَّ عَادَ إِلَى بَيْتِهِ، وَهُوَ يَفْكُرُ فِيمَا رَأَاهُ. وَدَارَتْ بِرَأْسِهِ فِكْرَةُ جَرِيئَةٍ، فَقَدْ طَمَحَتْ نَفْسُهُ (رَغِبَتْ وَتَطَلَّعَتْ) إِلَى مُصَاهَرَةِ الْإِمْبَرَاطُورِ، وَالتَّزَوُّجِ بِابْنَتِهِ الْأَمِيرَةِ: «بَدْرِ الْبُدُورِ». وَقَدْ شَجَّعَهُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ الْجَرِيئَةِ حُصُولُهُ عَلَى الْمُصْبَاحِ الْعَجِيبِ الَّذِي يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهُ — بِفَضْلِهِ — أَنْ يُظْهِرَ كَثِيرًا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْمُعْجَزَاتِ. وَقَدْ فَكَّرَ فِي الزَّوْاجِ طَوِيلًا، ثُمَّ اقْتَنَعَ — بَعْدَئِذٍ — بِوُجُوبِ السَّعْيِ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْأَمَلِ الْبَعِيدِ.

وَرَأَى أَنَّهُ — وَقَدْ أَصْبَحَ مِنْ سَرَاةِ الْمَدِينَةِ وَأَعْيَانِهَا — جَدِيرٌ أَنْ يَتَطَّلَعَ إِلَى مُصَاهَرَةِ الْإِمْبَرَاطُورِ. فَإِذَا اعْتَرَضَتْهُ أُيُّ عَقَبَةٍ — فِي سَبِيلِهِ — فَإِنَّ مُصْبَاحَهُ الْعَجِيبَ كَفِيلٌ (ضَامِنٌ وَقَائِمٌ) بِتَنْذِيلِهَا (تَسْهِيلِهَا)، وَالتَّغْلُبِ عَلَيْهَا.

(٢) حِوَارُ الْأُمِّ

وَرَأَتْ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ» عَلَى وَلَدِهَا أَمَارَاتِ التَّفَكُّيرِ الْعَمِيقِ. فَسَأَلَتْهُ: «فِيمَ تَفَكَّرُ، يَا وَلَدِي؟»

فَحَجَلَ «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَأَطْرَقَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ حَيَاءً. وَلَمَّا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ بِالسُّؤَالِ، قَالَ لَهَا مُتْلَعِنًا (مُتَوَقِّفًا قَبْلَ الْجَوَابِ): «لَقَدْ كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أَكْتُمَ عَنْكَ سَبَبَ الْآمِي وَأَحْزَانِي؛ لِئَلَّا تَتَّهَمِيَنِي بِالْجُنُونِ. وَلَكِنَّكَ أَلَحَّفْتَ (أَلَحَّحْتَ وَأَكْثَرْتَ) فِي السُّؤَالِ. وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أَكْتُمَ مَا يَخْتَلِجُ (مَا يَتَرَدَّدُ) فِي نَفْسِي مِنَ الْأَمَالِ. فَقَدْ رَأَيْتُ — فِي هَذَا الْيَوْمِ — ابْنَةَ إِمْبِرَاطُورِ الصِّينِ؛ وَمَا إِنْ أَبْصَرْتُهَا حَتَّى طَمَحَتْ نَفْسِي إِلَى الزَّوْاجِ بِهَا.»

فَصَرَخَتْ أُمُّهُ مَدْهُوْشَةً ثَائِرَةً، وَقَالَتْ مُتَعَجِّبَةً حَائِرَةً: «ابْنَةُ إِمْبِرَاطُورِ الصِّينِ الْعَظِيمِ، يَتَطَلَّعُ إِلَى الزَّوْاجِ بِهَا «عَلَاءُ الدِّينِ» الصَّغِيرُ، ابْنُ «مُصْطَفَى» الْخِيَاطِ الْفَقِيرِ! لَا شَكَّ فِي أَنَّكَ جُنِنْتَ يَا وَلَدِي!»

فَقَالَ لَهَا مُبْتَسِمًا: «كَلَّا. لَمْ أَجُنْ — يَا أُمِّي — فَإِنِّي لَا أَزَالُ رَاشِدًا مُتَنَبِّئًا مِمَّا أَقُولُ. وَلَسْتُ أَطْلُبُ إِلَيْكَ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا عَلَيْكَ، ذَلِكَ هُوَ أَنْ تَذْهَبِي إِلَى الْإِمْبِرَاطُورِ، وَتَطْلُبِي إِلَيْهِ أَنْ يُزَوِّجَنِي بِابْنَتِهِ الْأَمِيرَةِ: بَدْرِ الْبُدُورِ.»

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ، وَقَدْ اشْتَدَّتْ دَهْشَتُهَا: «لَا تَفَكَّرْ — يَا وَلَدِي — فِي هَذَا الْمُسْتَحِيلِ؛ فَإِنَّ الْإِمْبِرَاطُورَ — إِذَا سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ — أَمَرَ فِي الْحَالِ بِصَلْبِنَا (قَتَلِنَا وَتَعْلِيقِ أَجْسَامِنَا). وَمَنْ نَحْنُ حَتَّى نَتَطَلَّعَ إِلَى مُصَاهَرَةِ إِمْبِرَاطُورِنَا الْعَظِيمِ؟ اخْتَرْ — يَا وَلَدِي — أَيَّ فِتَاةٍ أُخْرَى، وَأَنَا أَزُوجُكَ بِهَا. أَمَّا أَنْ تَتَطَلَّعَ إِلَى الزَّوْاجِ بِابْنَةِ الْإِمْبِرَاطُورِ، فَذَلِكَ أَمَلٌ لَا سَبِيلَ إِلَى تَحْقِيقِهِ. وَلَيْسَ مِنَ الْحَزْمِ (تَنْدَبِيرِ الْأَمْرِ بِحِكْمَةٍ وَتَعْقُلٍ) أَنْ تُعَرِّضَ نَفْسَكَ لِعُصَبِ الْإِمْبِرَاطُورِ، وَسُخْرِيَةِ النَّاسِ.»

فَقَالَ لَهَا «عَلَاءُ الدِّينِ»: «ثِقِي — يَا أُمِّي — أَنَّنِي لَنْ أَعْدِلَ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ، مَهْمَا تَبَدَّلَ مِنِّي الْجُهْدُ فِي إِقْنَاعِي. وَلَسْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا؛ هُوَ أَنْ تَذْهَبِي إِلَى قَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ، وَتَلْتَمِسِي مِنْهُ أَنْ يُزَوِّجَنِي بِبْنَتِهِ.»

فَإِذَا أَجَابَكَ إِلَى طَلْبَتِكَ (مَقْصُودِكَ)، حَقَّقْتَ لِي — بِذَلِكَ — أَكْبَرَ أُمْنِيَّةٍ تَصُبُّو (تَمِيلُ) إِلَيْهَا نَفْسِي. وَإِذَا رَفَضَ، فَقَدْ قُمْتَ بِوَاجِبِكَ خَيْرَ قِيَامٍ، وَبَذَلْتَ لِي كُلَّ مَا تَسْتَطِيعِينَ.»

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْ — سَسَ عَلَيَّ إِدْرَاكَ النَّجَاحِ

(٣) هَدِيَّةُ الزَّوْاجِ

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ مُسْتَهْزِئَةً: «وَأَيُّ هَدِيَّةٍ تَسْتَطِيعُ — يَا وَلَدِي — أَنْ تَقْدِمَهَا إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ الَّذِي تَطْمَحُ إِلَى مُصَاهَرَتِهِ؟»

فَقَالَ لَهَا «عَلَاءُ الدِّينِ»: «أَسْتَطِيعُ أَنْ أَهْدِيَ إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ أَفْخَرَ الْهَدَايَا: فَإِنَّ عِنْدِي مِنَ الْكُنُوزِ النَّادِرَةِ مَا لَا يَقُومُ (مَا لَيْسَ يُقَدَّرُ) بِثَمَنِ. فَقَالَتْ أُمُّهُ سَاخِرَةً: «وَمَاذَا عِنْدَكَ، يَا وَلَدِي؟ وَأَيْنَ هِيَ هَذِهِ الْكُنُوزُ النَّادِرَةُ الَّتِي تَحْلُمُ بِهَا؟»

فَقَالَ لَهَا: «أَلَا تَذْكُرِينَ — يَا أُمِّي — تِلْكَ الذَّخَائِرَ الَّتِي كُنْتُ قَدْ أَحْضَرْتُهَا مَعِيَ مِنَ الْكَنْزِ؟ إِنَّ كُلَّ لَوْلُؤَةٍ مِنْهَا لَا تُقَوَّمُ بِثَمَنِ، لِنَفَاسَتِهَا (لِعِظَمِ قِيَمَتِهَا وَعُسْرِ الْحُصُولِ عَلَيْهَا). وَلَيْسَ فِي خَزَائِنِ الْإِمْبَرَاطُورِ — مِنَ اللَّالِئِ الثَّمِينَةِ — مَا يُمَاتِلُهَا خَطَرًا (قَدْرًا وَمَنْزِلَةً) وَنُدْرَةً (قَلَّةً وَجُودًا). وَلَيْسَ هَذَا رَأْيِي — وَحْدِي — بَلْ هُوَ رَأْيُ كِبَارِ تُجَارِ اللَّالِئِ وَشُيُوخِهِمْ.»

فَقَالَتْ لَهُ: «وَمَاذَا تَصْنَعُ إِذَا طَلَبَ إِلَيْكَ الْإِمْبَرَاطُورُ — بَعْدَ هَذِهِ الْهَدِيَّةِ — مَهْرَ ابْنَتِهِ؟ وَأَيْنَ تَسْكُنُ بِنْتُ الْإِمْبَرَاطُورِ، بَعْدَ أَنْ تَتَزَوَّجَ بِهَا؟ أَتَرْضَى الْأَمِيرَةَ أَنْ تُقِيمَ مَعَكَ فِي هَذَا الْبَيْتِ الْحَقِيرِ؟ ذَلِكَ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَحْقِيقِهِ.»

فَقَالَ لَهَا «عَلَاءُ الدِّينِ»: «لَا تُقْلِقِي بَالِكَ — يَا أُمِّي — فَإِنَّ مُصْبَاحِي كَفِيلٌ بِتَحْقِيقِ كُلِّ مَا يَطْلُبُهُ الْإِمْبَرَاطُورُ مِنِّي، وَإِنْ غَلَا وَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَجَارَ فِي مَطَالِبِهِ وَاشْتَدَّ.»



(٤) فِي قَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ

وَرَأَتْ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ» إِصْرَارَ وَلَدِهَا عَلَى تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ، وَعَلِمَتْ أَنَّ كُلَّ مُحَاوَلَةٍ لِإِقْنَاعِهِ لَنْ تَزِيدَهُ إِلَّا تَشَبُّهًا (تَمَسُّكًا) وَعِنَادًا.

فَوَعَدَتْهُ بِبَذْلِ جُهِدِهَا فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ.

فَفَرِحَ «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَقَبَّلَ يَدَيْهَا شَاكِرًا.

وَنَامَ — طَوَّلَ لَيْلَتِهِ — وَهُوَ يَحْلُمُ بِأَمَانِيهِ الْجَمِيلَةِ.

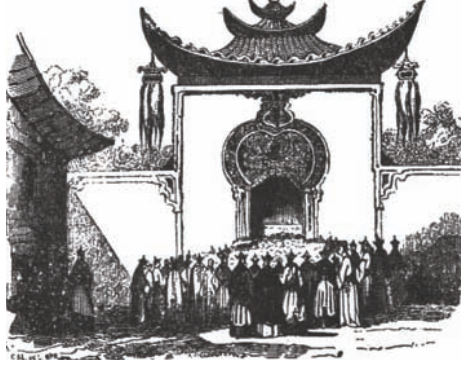
وَنَهَضَ «عَلَاءُ الدِّينِ» فِي الصَّبَاحِ مُبَكَّرًا، وَأَيَّقَطَ أُمَّهُ لِتَذَهَبَ إِلَى قَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ مُخَالَفَتَهُ. وَلَبِسَتْ أَفْخَرَ مَا عِنْدَهَا مِنَ الثِّيَابِ، وَأَخَذَتْ اللَّالِئَ الَّتِي أَحْضَرَهَا وَلَدُهَا مِنَ الْكُزْنِ، وَذَهَبَتْ بِهَا إِلَى قَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ، وَهِيَ يَأْسُهُ مُرْتَبِكَةٌ أَشَدَّ الْإِرْتِبَاكِ. فَرَأَتْ الْإِمْبِرَاطُورَ، وَحَوْلَهُ وَزَرَاؤُهُ وَحَاشِيَتُهُ (أَغْنَى رِجَالَهُ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ شُؤْنَهُ وَيُحِيطُونَ بِهِ) وَأَمَامَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَقَاضِينَ (أَصْحَابِ الْقَضَايَا وَالْخُصُومَاتِ).



فَوَقَفْتُ فِي آخِرِ النَّاسِ، وَهِيَ حَائِرَةٌ خَائِفَةٌ، لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَقَدَّمَ خُطْوَةً وَاحِدَةً.
وَضَلَلْتُ وَاقِفَةً حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الظُّهْرِ، وَأَنْصَرَفَ النَّاسُ — عَلَى أَنْ يَعُودُوا فِي الْيَوْمِ التَّالِي
لِلْفَصْلِ فِي قَضَايَاهُمْ — فَعَادْتُ إِلَى مَنْزِلِهَا مَحْزُونَةً.

(٥) بَعْدَ أُسْبُوعٍ

وَمَا إِنَّ رَأَاهَا «عَلَاءُ الدِّينِ» حَتَّى سَأَلَهَا مُتَلَهِّفًا: «مَاذَا صَنَعْتَ يَا أُمِّي؟»



فَقَصَّتْ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَّثَ، وَوَعَدَتْهُ بِالذَّهَابِ — فِي الْيَوْمِ التَّالِي — إِلَى الْقَصْرِ. وَمَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ حَتَّى أُيْقِظَهَا «عَلَاءُ الدِّينِ». فَسَارَتْ إِلَى قَصْرِ الْإِمْبَرَاطُورِ، وَحَدَّثَتْ لَهَا مَا حَدَّثَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ. وَمَا زَالَتْ هَكَذَا أُسْبُوعًا كَامِلًا.

وَكَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ يَرَاهَا تَتَرَدَّدُ عَلَى سَاحَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ، وَتَتَنَصَّرِفُ آخِرَ النَّاسِ. فَطَلَبَ إِلَى كَبِيرِ وُزَرَائِهِ أَنْ يُذَكِّرَهُ بِهَا فِي الْيَوْمِ التَّالِي — إِذَا حَضَرَتْ — لِيَسْأَلَهَا عَمَّا تُرِيدُ. فَلَمَّا جَاءَ الْيَوْمُ التَّالِي ذَكَرَهُ بِهَا؛ فَنَادَاهَا الْإِمْبَرَاطُورُ وَسَأَلَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ، أَيُّنُّهَا السَّيِّدَةُ الْفَاضِلَةُ؟»



فَتَقَدَّمَتْ نَحْوَهُ، وَخَرَّتْ (هَبَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ) رَاكِعَةً أَمَامَهُ، وَقَالَتْ مُتَأَدِّبَةً: «إِذَا تَفَضَّلَ مَوْلَايَ الْإِمْبِرَاطُورُ الْعَظِيمُ بِسَمَاعِ قِصَّتِي، فَإِنِّي لَنْ أَنْسَى لَهُ — مَا حَيَّيْتُ — هَذَا الْفَضْلَ الْكَبِيرَ. وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أُسِرَّ إِلَيْهِ حَدِيثِي (أُرِيدُ أَنْ أَنْفِرَ بِهِ، لِأَقُولَهُ لَهُ سِرًّا)».

فَأَمَرَ الْإِمْبِرَاطُورُ بِإِخْرَاجِ الْحَاضِرِينَ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا كَبِيرُ وُزَرَائِهِ. ثُمَّ سَأَلَهَا عَمَّا تُرِيدُ؛ فَرَكَعَتْ أَمَامَهُ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ قَدَّمَتْ إِلَيْهِ مَا مَعَهَا مِنَ الْهَدَايَا الْفَاحِشَةِ.

فَأَعْجَبَ الْإِمْبِرَاطُورُ بِاللَّائِلِ الثَّمِينَةِ النَّادِرَةِ.

وَشَارَكَهُ كَبِيرُ وُزَرَائِهِ فِي الْإِعْجَابِ بِهَا. ثُمَّ سَأَلَهَا: «وَمَاذَا تُرِيدِينَ مِنِّي، بَعْدَ قَبُولِي هَذِهِ الْهَدَايَا الثَّمِينَةَ؟»

فَقَالَتْ لَهُ: «إِنَّ وَلَدِي «عَلَاءَ الدِّينِ» قَدْ دَفَعْتُهُ جُرْأَتَهُ وَأَمْلَهُ فِي كَرَمٍ جَلَّالَتِكُمْ، إِلَى أَنْ تَطْمَحَ نَفْسُهُ إِلَى مُصَاحَرَةِ الْإِمْبِرَاطُورِ.»

عَلَاءُ الدِّينِ

فَلَمْ يَشَأِ الْإِمْبِرَاطُورُ أَنْ يَرُدَّهَا حَائِبَةً، وَقَالَ لَهَا مُبْتَسِمًا: «لَقَدْ قَبِلْتُ هَدِيَّتَهُ الْفَاحِرَةَ،
وَسَأَزُوجُهُ ابْنَتِي بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ.»
فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ شَاكِرَةً مُبْتَهَجَةً، وَأَخْبَرَتْ وَلَدَهَا «عَلَاءُ الدِّينِ» بِقَبُولِ الْإِمْبِرَاطُورِ؛
فَكَادَ يَطِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ.

الفصل الرابع

زَوَاجُ الْأَمِيرَةِ

(١) زِينَةُ الْعُرْسِ

كَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» يَعُدُّ السَّاعَاتِ وَالْأَيَّامَ، مُتَرَقِّبًا مَوْعِدَ زَوَاجِهِ بِالْأَمِيرَةِ «بَدْرِ الْبُدُورِ»: ابْنَةُ إِمْبِرَاطُورِ الصِّينِ، حَتَّى مَضَى عَلَيْهِ شَهْرَانِ. وَكَانَ يُمْنِي نَفْسَهُ أَعْذَبَ الْأَمَانِيِّ وَأَطْيَبَهَا وَأَحْلَاهَا. وَلَكِنْ وَقَعَ لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسْبَانِ (حَدَّثَ مَا لَمْ يَطْنُهُ)؛ فَقَدْ خَرَجَتْ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ» مِنْ بَيْتِهَا مُبَكَّرَةً — ذَا صَبَاحٍ — فَرَأَتْ الزَّيْنَةَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَرَأَتْ السَّرَادِقَاتِ (الْخِيَامَ الْمَنْصُوبَةَ) تُقَامُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ. فَسَأَلَتْ أَحَدَ النَّاسِ: «مَا الْخَبَرُ؟» فَأَجَابَهَا مَذْهُوشًا: «كَيْفَ تَسْأَلِينَ؟ أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ؟ أَلَا تَعْلَمِينَ أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ هُوَ مَوْعِدُ زَوَاجِ الْأَمِيرَةِ: «بَدْرِ الْبُدُورِ» — ابْنَةُ إِمْبِرَاطُورِنَا الْعَظِيمِ — بِابْنِ كَبِيرٍ وَزُرَّائِهِ؟» وَمَا إِنْ سَمِعَتْ مِنْهُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى امْتَلَأَتْ نَفْسُهَا غَمًّا وَحَسْرَةً، وَعَجِبَتْ: كَيْفَ يَنْقُضُ الْإِمْبِرَاطُورُ كَلِمَتَهُ، وَيُخْلِفُ وَعْدَهُ؟ وَأَسْرَعَتْ فِي طَرِيقِهَا — عَائِدَةً إِلَى مَنْزِلِهَا — وَقَصَّتْ عَلَى وَلَدِهَا «عَلَاءِ الدِّينِ» كُلَّ مَا سَمِعَتْهُ. فَحَزَنَ لِمَا سَمِعَ أَشَدَّ الْحُزَنِ، وَلَكِنَّهُ تَجَلَّدَ (تَقَوَّى وَتَحَمَّلَ)، وَعَلِمَ أَنَّ الْإِسْتِسْلَامَ لِلْيَأْسِ لَا يُفِيدُ. فَأَعْمَلَ فِكْرَهُ قَلِيلًا، حَتَّى اهْتَدَى إِلَى خُطَّةٍ حَاسِمَةٍ (وَفَّقَ إِلَى طَرِيقَةٍ فَاصِلَةٍ قَاطِعَةٍ)، يَثَارُ بِهَا لِنَفْسِهِ وَيَنْتَقِمُ، وَيَنَالُ بِهَا مَا يَمَنَّاؤُهُ.

(٢) لَيْلَةُ الزَّوْاجِ

ثُمَّ ذَهَبَ «عَلَاءُ الدِّينِ» إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهَا، وَأَخْضَرَ مِصْبَاحَهُ الْعَجِيبَ الَّذِي كَانَ يَخْبُوهُ فِيهَا. ثُمَّ فَرَكَ الْمِصْبَاحَ؛ فَمَثَلَ أَمَامَهُ الْجِنِّيُّ — لِسَاعَتِهِ — وَسَأَلَهُ مُتَلَطِّفًا: «هَآنَذَا — يَا مَوْلَايَ — فَمُرْنِي أَطْعَمَكَ، أَنَا وَجَمِيعُ أَغَوَانِي: خُدَّامَ الْمِصْبَاحِ». فَقَالَ «عَلَاءُ الدِّينِ»: «سَتَكُونُ هَذِهِ اللَّيْلَةُ مَوْعِدَ زَفَافِ ابْنِ كَبِيرِ الْوُزَرَاءِ إِلَى الْأَمِيرَةِ: «بَدْرُ الْبُدُورِ». وَلَسْتُ أَطْلُبُ إِلَيْكَ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تُقْصِيَ ابْنَ الْوَزِيرِ (تُبْعِدَهُ) عَنِ الْأَمِيرَةِ، وَتَحُولَ دُونَ تَمْكِينِهِ مِنَ الدُّنْوِ (الْقُرْبِ) مِنْهَا طُولَ اللَّيْلِ». فَقَالَ لَهُ الْجِنِّيُّ: «سَمْعًا وَطَاعَةً — يَا مَوْلَايَ — وَسَتَرَى مَا يُسْرُكَ». ثُمَّ غَابَ عَنْهُ وَانْصَرَفَ.

(٣) ابْنُ كَبِيرِ الْوُزَرَاءِ وَالْجِنِّيُّ

وَلَمَّا انْتَهَتْ حَفَلَاتُ الزَّفَافِ وَانْصَرَفَ الْحَاضِرُونَ، خَطَفَ الْجِنِّيُّ ابْنَ كَبِيرِ الْوُزَرَاءِ مِنْ حُجْرَةِ الْأَمِيرَةِ، وَوَضَعَهُ فِي مِرْحَاضِ الْقَصْرِ، وَلَمْ يَظْهَرِ الْجِنِّيُّ لِلْأَمِيرَةِ حَتَّى لَا تَنْزَعِجَ.



وَقَدْ عَجِبَتِ الْأَمِيرَةُ حِينَ تَلَفَّتَتْ فَلَمْ تَجِدْ زَوْجَهَا أَمَامَهَا. وَمَكَثَتْ وَحْدَهَا إِلَى الصَّبَاحِ،
وَهِيَ مَذْهُوشَةٌ مِنْ غِيَابِ عَرُوسِهَا أَشَدَّ دَهْشَةٍ.
وَلَمَّا لَاحَ الصَّبَاحُ أَطْلَقَ الْجِنِّي سَرَاحَهُ، فَعَادَ إِلَى حُجْرَةِ الْأَمِيرَةِ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ
أَمَارَاتُ الرُّعْبِ وَالْإِرْتِبَاكِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَدِّثَهَا بِشَيْءٍ مِمَّا حَدَثَ لَهُ فِي لَيْلَتِهِ السَّوْدَاءِ.



ثُمَّ جَاءَ الْإِمْبْرَاطُورُ وَزَوْجُهُ لِيُسَلِّمَا عَلَى ابْنَتِهِمَا، فَرَأَيَاهَا حَزِينَةً. فَسَأَلَاهَا عَنْ سِرِّ حُزْنِهَا؛ فَتَجَلَّدَتْ أَمَامَهُمَا، وَلَمْ تُخْبِرْهُمَا بِشَيْءٍ مِمَّا حَدَثَ. فَلَمَّا جَاءَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَّةُ حَمَلَ الْجِنِّيُّ عَرُوسَهَا؛ كَمَا حَمَلَهُ فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ. فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ، صَنَعَ بِهِ الْجِنِّيُّ كَمَا صَنَعَ فِي اللَّيْلَتَيْنِ الْمَاضِيَتَيْنِ.

(٤) غَضِبَ الْإِمْبْرَاطُورُ

فَلَمْ تُطِقِ الْأَمِيرَةُ صَبْرًا عَلَى مَا رَأَتْ، وَاضْطُرَّتْ إِلَى الْإِفْصَاءِ إِلَى أُمِّهَا (إِخْبَارِهَا) بِكُلِّ مَا حَدَثَ. فَذَهَبَتْ أُمُّهَا إِلَى الْإِمْبْرَاطُورِ، وَقَصَّتْ عَلَيْهِ مَا سَمِعَتْهُ مِنْ ابْنَتِهَا. فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَأَحْضَرَ أَمَامَهُ كَبِيرَ وُزْرَائِهِ وَابْنَهُ، وَسَأَلَهُمَا أَنْ يُخْبِرَاهُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ. فَلَمْ يَسْتَطِعِ ابْنُ كَبِيرِ الْوُزَرَاءِ أَنْ يَكْتُمَ الْإِمْبْرَاطُورَ شَيْئًا مِمَّا حَدَثَ فِي اللَّيَالِي الثَّلَاثِ. ثُمَّ ارْتَمَى عَلَى قَدَمَيِ الْإِمْبْرَاطُورِ بَاكِيًا؛ يَسْأَلُهُ أَنْ يُخْلِيَ سَبِيلَهُ، وَأَنْ يُعْفِيَهُ مِنَ الْبَقَاءِ مَعَ الْأَمِيرَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ أَحَبَّ إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ مِنْ هَذَا الطَّلَبِ؛ فَقَدْ ذَكَرَ وَعْدَهُ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَأَيَّقَنَ أَنَّ كُلَّ مَا حَدَّثَ لِابْنَتِهِ — مِنْ حِرْمَانِهَا أَنْ تَسْعَدَ بِزَوْجِهَا — إِنَّمَا كَانَ انْتِقَامًا مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَفِ بِوَعْدِهِ.

وَعَلِمَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِنَ الْجَنِيِّ كُلَّ مَا حَدَّثَ؛ فَفَرِحَ أَشَدَّ الْفَرَحِ.

(٥) بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ

وَصَبَرَ «عَلَاءُ الدِّينِ» حَتَّى انْقَضَى الشَّهْرُ الثَّالِثُ، وَأَرْسَلَ أُمُّهُ إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ، لِتُذَكِّرَهُ بِوَعْدِهِ.

وَمَا إِنَّ رَأَاهَا الْإِمْبَرَاطُورُ حَتَّى نَادَاهَا. فَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ مُتَأَدِّبَةً، وَرَكَعَتْ أَمَامَهُ خَاشِعَةً، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: «جِئْتُ إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ لِأَذْكُرَهُ بِوَعْدِهِ، بَعْدَ أَنْ انْقَضَتْ ثَلَاثَةُ الْأَشْهُرِ.»

فَأَقَرَّ الْإِمْبَرَاطُورُ أَنَّهُ مُنْجِزٌ مَا وَعَدَهَا بِهِ، وَالتَفَتَ إِلَى كَبِيرِ وَزَرَائِهِ، يَسْأَلُهُ عَنْ رَأْيِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَرَى أَلَّا يَسْمَحَ الْإِمْبَرَاطُورُ بِتَزْوِيجِ الْأَمِيرَةِ بِرَجُلٍ مَجْهُولٍ أَصْلُهُ؛ فَربَّمَا كَانَ غَيْرَ كُفءٍ (غَيْرِ أَهْلِ) لِمُصَاهَرَةِ إِمْبَرَاطُورِ الصِّينِ الْعَظِيمِ. وَلَسْتُ أَرَى وَسِيلَةً لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ (لِلْخَلَاصِ مِنْ هَذَا الضِّيقِ)، إِلَّا أَنْ نَشْتَطَّ (نَحْكُمَ حُكْمًا جَائِرًا) فِي طَلَبِ مَهْرِ الْأَمِيرَةِ حَتَّى نَعْجِزَهُ، وَنُسَوِّغَ رَفْضَنَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَنْقُضَ عَهْدَنَا.»

فَالْتَفَتَ الْإِمْبَرَاطُورُ إِلَى أُمِّ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَقَالَ لَهَا: «لَسْتُ أَرَى مَانِعًا مِنْ تَحْقِيقِ طَلْبِكَ. وَلَكِنَّ مَهْرَ الْأَمِيرَةِ غَالٍ، لَا يَسْتَطِيعُهُ وَلَدُكَ؛ فَإِنِّي أَشْتَرِطُ عَلَيْهِ أَنْ يُقَدِّمَ لِلْأَمِيرَةِ أَرْبَعِينَ صَحْفَةً مَمْلُوءَةً بِأَمْثَالِ اللَّالِئِ الَّتِي قَدَّمَتْهَا إِلَيَّ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ.»

فَعَادَتْ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ» يَاثِسَةً (لَا أَمَلَ عِنْدَهَا)، وَقَدْ أَيَّقَنَتْ أَنَّ وَلَدَهَا أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يُحَقِّقَ هَذَا الطَّلَبَ الَّذِي لَا سَبِيلَ إِلَى تَحْقِيقِهِ.

(٦) مَهْرُ الْأَمِيرَةِ

وَمَا إِنَّ أُخْبِرَتْ وَلَدَهَا «عَلَاءُ الدِّينِ» بِمَا حَدَّثَ، حَتَّى اِمْتَلَأَتْ نَفْسُهُ سُرُورًا. وَأَسْرَعَ إِلَى الْمِصْبَاحِ فَفَرَّكَهُ، وَطَلَبَ إِلَى الْجَنِيِّ أَنْ يُحْضِرَ لَهُ أَرْبَعِينَ صَحْفَةً مَمْلُوءَةً بِاللَّالِئِ الَّتِي

عَلَاءُ الدِّينِ

يَطْلُبُهَا الْإِمْبَرَاطُورُ، وَأَرْبَعِينَ تَابِعًا يَحْمِلُونَهَا، وَأَرْبَعِينَ خَادِمًا يَتَقَدِّمُونَهُمْ، وَعَلَيْهِمْ أَفْخَرُ الثِّيَابِ وَأَنْفُسُهَا.

وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ قَصِيرٍ حَتَّى أَحْضَرَ لَهُ الْجَنِّي كُلَّ مَا طَلَبَ؛ فَدَهَشَتْ أُمُّ «عَلَاءِ الدِّينِ» مِمَّا رَأَتْ. وَطَلَبَ إِلَيْهَا وَلَدُهَا أَنْ تَذْهَبَ بِهِذِهِ الْهَدَايَا التَّمِينَةَ إِلَى قَصْرِ الْإِمْبَرَاطُورِ؛ حَتَّى لَا يَضِيعَ الْوَقْتُ.

وَمَا إِنَّ حَرَجَتْ — وَمَعَهَا الْأَتْبَاعُ وَالْخَدَمُ — حَتَّى عَجِبَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا أَشَدَّ الْعَجَبِ.

وَاشْتَدَّتْ دَهْشَةُ الْإِمْبَرَاطُورِ مِنْ تَحْقِيقِ مَطْلَبِهِ بِهِذِهِ السَّرْعَةِ الْعَجِيبَةِ. فَالْتَفَتَ إِلَى كَبِيرِ وُزَرَائِهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ رَأْيِهِ. فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُعَارِضَ فِي زَوَاجِ «عَلَاءِ الدِّينِ» بِالْأَمِيرَةِ، بِرَغْمِ حَقْدِهِ عَلَيْهِ، وَغَيْرَتِهِ مِنْهُ. فَالْتَفَتَ الْإِمْبَرَاطُورُ إِلَى السَّيِّدَةِ، وَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ قَبِلْتُ مَا تَطْلُبِينَ، وَاشْتَقْتُ إِلَى رُؤْيَاكِ وَلَدِكَ؛ لِأَزْوَاجِهِ الْأَمِيرَةِ: بَدْرَ الْبُدُورِ».



زَوَاجُ الْأَمِيرَةِ

فَشَكَرَتْ الإِمْبِرَاطُورَ عَلَى عَطْفِهِ أَحْسَنَ الشُّكْرِ، وَاسْتَأْذَنَتْهُ فِي الْخُرُوجِ، فَأَذِنَ لَهَا الإِمْبِرَاطُورُ. وَسَارَتْ فِي طَرِيقِهَا إِلَى مَنْزِلِهَا مُبْتَهَجَةً بِنَجَاحِهَا أَشَدَّ الْإِبْتِهَاجِ. وَمَا إِنَّ أَخْبَرَتْ وَلَدَهَا «عَلَاءَ الدِّينِ» أَنَّ الإِمْبِرَاطُورَ يَدْعُوهُ إِلَى زِيَارَتِهِ لِيُزَوِّجَهُ بِابْنَتِهِ الْأَمِيرَةِ: «بَدْرُ الْبُدُورِ» حَتَّى امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ بِهَجَّةٍ وَسُرُورًا، وَخَرَّ رَاكِعًا شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نَجَاحِهِ، وَنِيلَ أُمْنِيَّتِهِ الَّتِي كَادَ يِنَاسُ مِنْ بُلُوغِهَا.

(٧) فِي الْحَمَامِ

وَلَمْ يَتَوَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» (لَمْ يَتَأَخَّرْ لَحْظَةً) فِي انْتِهَازِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ الثَّمِينَةِ، فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ الثَّانِيَةَ، وَأَحْضَرَ مِنْهَا الْمِصْبَاحَ وَفَرَكَهُ؛ فَحَضَرَ إِلَيْهِ الْجَنِّي فِي الْحَالِ، وَسَأَلَهُ قَائِلًا: «مُرْنِي بِمَا تَشَاءُ.»



فَقَالَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»: «لَقَدْ دَعَانِي الإِمْبِرَاطُورُ إِلَى زِيَارَتِهِ، فَهَيَّئْ لِي حَمَامًا فَاخِرًا لِأَسْتَحِمَّ فِيهِ، وَأَحْضِرْ لِي أَثْمَنَ ثِيَابٍ لِأَلْبَسَهَا.» وَمَا إِنَّ أَتَمَّ قَوْلَهُ حَتَّى حَمَلَهُ الْجَنِّي، وَطَارَ بِهِ، وَأَنْزَلَهُ فِي حَمَامٍ بَدِيعٍ، مَصْنُوعٍ مِنَ الرُّخَامِ الثَّمِينِ الْمُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ. فَجَلَسَ فِي بَهْوِ (حُجْرَةٍ وَاسِعَةٍ فَسِيحَةٍ) لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ، ثُمَّ خَلَعَ ثِيَابَهُ وَاسْتَحَمَّ. وَعَنِي الْجَنِّي وَأَعَوَانُهُ بِخِدْمَتِهِ، وَأَحْضَرُوا لَهُ

أَحْسَنَ أَنْوَاعِ الْعُطُورِ وَالطِّيبِ، ثُمَّ أَلْبَسُوهُ ثِيَابًا مُوشَاةً (مُزَيَّنَةً) بِاللَّالِيِّ النَّادِرَةِ الَّتِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهَا فِي قَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ نَفْسِهِ.

فَدَهَشَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِمَّا رَأَى. ثُمَّ طَلَبَ مِنَ الْجِنِّيِّ أَنْ يُحْضِرَ لَهُ فَرَسًا مُسَرَّجًا (عَلَيْهِ السَّرَجُ)، مُطَهَّمًا (تَامَ الْحُسْنِ)، وَعِشْرِينَ خَادِمًا، عَلَيْهِمْ أَفْخَرُ الثِّيَابِ، يَحْمِلُونَ صَحَافًا كَبِيرَةً مَمْلُوءَةً بِأَنْفَاسِ اللَّالِيِّ، يَسِيرُونَ أَمَامَهُ، وَعِشْرِينَ مِثْلَهُمْ يَسِيرُونَ خَلْفَهُ؛ ثُمَّ يُحْضِرُ سِتَّ جَوَارٍ مُرْتَدِيَاتٍ أَفْخَرَ الْمَلَابِسِ؛ لِيَسِرْنَ (لِيَمْشِينَ) مَعَ أُمِّهِ، وَيُحْضِرَ عَشْرَةَ أَكْيَاسٍ، فِي كُلِّ كَيْسٍ أَلْفُ دِينَارٍ ذَهَبًا.

(٨) فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْقَصْرِ

وَمَا انْتَهَى «عَلَاءُ الدِّينِ» مِنْ قَوْلِهِ، حَتَّى اسْتَخْفَى الْجِنِّيُّ لَحْظَةً ثُمَّ عَادَ وَمَعَهُ كُلُّ مَا أَمَرَهُ بِهِ «عَلَاءُ الدِّينِ».

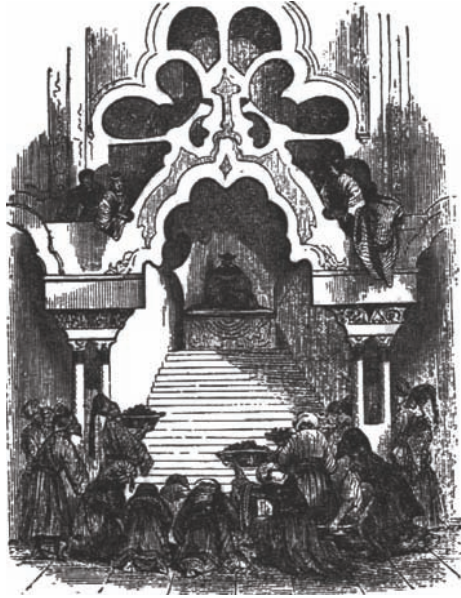
ثُمَّ سَارَ «عَلَاءُ الدِّينِ» وَوَالِدَتُهُ فِي مَوَكِبِهِ الْفَخْمِ، بَعْدَ أَنْ أَعْطَى أُمُّهُ أَرْبَعَةَ أَكْيَاسٍ، وَتَرَكَ السَّتَّةَ الْبَاقِيَةَ فِي أَيْدِي خَدَمِهِ؛ لِيُوزَّعُوهَا — فِي أَتْنَاءِ سَيْرِهِ — عَلَى الْجُمْهُورِ الْمُحْتَشِدِ (الْمُتَجَمِّعِ).



وَمَا زَالَ سَائِرًا — وَالنَّاسُ يَحْتَشِدُونَ عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ، وَيَهْتَفُونَ بِهِ، مُعْجَبِينَ بِكَرَمِهِ، مَذْهُوشِينَ مِنْ فَخَامَةِ مَوْكِهِ — حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْقَصْرِ، حَيْثُ وَضَعَ الْخَدَمُ الْهَدَايَا أَمَامَ الْإِمْبِرَاطُورِ.

(٩) فِي قَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ

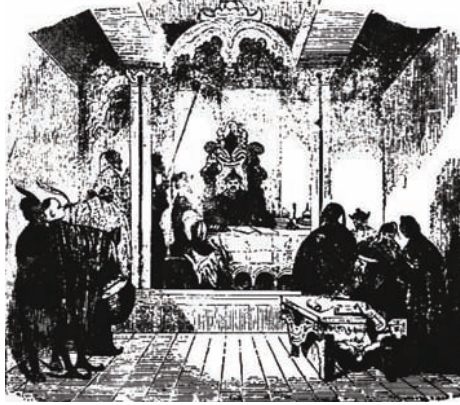
وَمَا إِنَّ دَخَلَ الْقَصْرَ، حَتَّى قَابَلَهُ الْوُزَرَاءُ وَحَاشِيَةُ الْإِمْبِرَاطُورِ وَرَحَّبُوا بِهِ، وَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْعَرْشِ. فَأَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ أَمَامَهُ تَعْظِيمًا لَهُ، فَمَنَعَهُ الْإِمْبِرَاطُورُ مِنَ الرُّكُوعِ، وَعَانَقَهُ، وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ.



فَشَكَرَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» أَحْسَنَ الشُّكْرِ، وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَنْ أَنْسَى لِلْإِمْبِرَاطُورِ هَذِهِ الْعِنَايَةَ الَّتِي خَصَّنِي بِهَا، وَسَأُظِلُّ — طُولَ حَيَاتِي — خَادِمُهُ وَوَلَدُهُ الْمُخْلِصَ الْأَمِينَ.»

عَلَاءُ الدِّينِ

فَشَكَرَ لَهُ الْإِمْبَرَاطُورُ أَدَبَهُ وَظُرْفَهُ. وَجَلَسَا يَتَحَدَّثَانِ قَلِيلًا، حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الْغَدَاءِ، فَسَارَا مَعًا إِلَى قَاعَةِ فَخْمَةٍ، وَجَلَسَ الْإِمْبَرَاطُورُ مَعَ صَهْرِهِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَوُزَرَائِهِ وَحَاشِيَتِهِ عَلَى مَائِدَةٍ فَاحِرَةٍ، وَأَكَلُوا جَمِيعًا. وَدَارَتِ الْأَحَادِيثُ بَيْنَهُمْ؛ فَأَعْجَبَ الْإِمْبَرَاطُورُ بِذِكَاةِ «عَلَاءِ الدِّينِ» وَبُعْدِ نَظَرِهِ، وَأَصَالَةِ رَأْيِهِ (صَوَابِهِ)، وَحُسْنِ أَدَبِهِ.



فَلَمَّا انْتَهَوْا مِنَ الْأَكْلِ، أَمَرَ الْإِمْبَرَاطُورُ بِاسْتِدْعَاءِ قَاضِي الْقَضَاةِ، لِيُزَوِّجَ «عَلَاءَ الدِّينِ» بِالْأَمِيرَةِ «بَدْرِ الْبُدُورِ».

(١٠) فِي الْقَصْرِ الْجَدِيدِ

ثُمَّ أَظْهَرَ لَهُ الْإِمْبَرَاطُورُ اسْتِعْدَادَهُ لِإِقَامَةِ حَفَلَاتِ الْعُرْسِ فِي قَصْرِهِ، إِذَا شَاءَ. فَقَالَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»: «أَرْجُو أَنْ يَأْذَنَ لِي الْإِمْبَرَاطُورُ أَنْ أَشَيِّدَ (أَبْنِيَ) قَصْرًا جَدِيدًا لِلْأَمِيرَةِ، أَمَامَ قَصْرِهِ».

فَأْذَنَ لَهُ الْإِمْبَرَاطُورُ فِي ذَلِكَ. وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ الْإِنْصِرَافِ، سَلَّمَ «عَلَاءُ الدِّينِ» عَلَى الْإِمْبَرَاطُورِ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ مَعَ أُمِّهِ مَسْرُورًا.

وَمَا إِنْ وَصَلَا إِلَى الْبَيْتِ، حَتَّى أَخْضَرَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِصْبَاحَهُ الْعَجِيبَ، وَفَرَكَهُ؛ فَحَضَرَ الْجَنِّيُّ مِنْ وَقْتِهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْمُرَهُ بِمَا يَشَاءُ. فَقَالَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»: «أُرِيدُ أَنْ تُشِيدَ لِي — فِي أَقْصَرِ وَقْتٍ مُسْتَطَاعٍ — قَصْرًا فَاحِشًا أَمَامَ قَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ، وَأَنْ تَخْتَارَ أَحْجَارَهُ مِنَ الْعَقِيقِ وَالْمَرْمَرِ وَاللَّازُورِدِ (وَهُوَ حَجَرٌ كَرِيمٌ لَوْنُهُ أَزْرَقُ صَافٍ)، وَأَنْ تُشِيدَ لِي فِي أَعْلَى الْقَصْرِ حُجْرَةً فَسِيحَةً، فِيهَا أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ نَافِذَةً، مُرْصَعَةً (مُحَلَّلَةً) بِأَثْمَنِ أَحْجَارِ الْمَاسِ وَالْيَاقُوتِ وَالزُّمُرِّ، وَأَنْ تَحُوطَ الْقَصْرَ بِحَدِيقَةٍ كَبِيرَةٍ، ثُمَّ تُحْضِرَ لِي صُنْدُوقًا مَمْلُوءًا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَتُجَمِّلَ هَذَا الْقَصْرَ بِأَفْخَرِ أَنْوَاعِ الْأَثَاثِ وَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي، وَكُلُّ مَا أحتاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْجَيَادِ الْفَاحِشَةِ الْمُطَهَّمَةِ (الَّتِي اجْتَمَعَتْ لَهَا كُلُّ مَزَايَا الْحُسْنِ)».

فَقَالَ لَهُ الْجَنِّيُّ: «سَمْعًا وَطَاعَةً لَكَ يَا مَوْلَايَ». ثُمَّ انْصَرَفَ الْجَنِّيُّ. وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ مَالَتْ لِلْغُرُوبِ، فَجَلَسَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مُغْتَبِطًا، يُفَكِّرُ فِي السَّعَادَةِ الَّتِي تَنْتَظِرُهُ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى تَوْفِيقِهِ. وَبَاتَ لَيْلَتَهُ قَرِيرَ الْعَيْنِ، هَادِي النَّفْسِ، مُرْتَاحَ الْقَلْبِ. حَتَّى لَاحَ الصَّبَاحُ. وَمَا إِنْ اسْتَيْقَظَ حَتَّى مَثَلَ أَمَامَهُ الْجَنِّيُّ، وَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ تَمَّ بِنَاءُ الْقَصْرِ — يَا مَوْلَايَ — فَهَيَّا (أَقْبِلْ) لِتَرَاهُ».

ثُمَّ طَارَ بِهِ لَحْظَةً، حَتَّى وَصَلَا إِلَى الْقَصْرِ. فَرَأَى «عَلَاءُ الدِّينِ» مَا أَدْهَشَهُ وَسَحَرَ لُبَّهُ (فَتَنَ عَقْلَهُ)، وَوَجَدَ أَكْثَرَ مِمَّا طَلَبَهُ مِنَ الْجَنِّيِّ. ثُمَّ سَأَلَهُ الْجَنِّيُّ: «مَاذَا تُرِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ؟»

فَطَلَبَ إِلَيْهِ «عَلَاءُ الدِّينِ» أَنْ يُحْضِرَ بَسَاطًا كَبِيرًا يَفْرُشُهُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي بَيْنَ قَصْرِهِ وَقَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ؛ لِتَسِيرَ عَلَيْهِ الْأَمِيرَةُ: «بَدْرُ الْبُدُورِ» حِينَ تَخْرُجُ مِنْ قَصْرِ أَبِيهَا إِلَى قَصْرِهَا الْجَدِيدِ.

فَغَابَ الْجَنِّيُّ عَنْهُ لَحْظَةً، ثُمَّ أَخْضَرَ الْبَسَاطَ، وَسَأَلَهُ: «مَاذَا يُرِيدُ مَوْلَايَ بَعْدَ ذَلِكَ؟» فَشَكَرَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» أَحْسَنَ الشُّكْرِ، وَانْصَرَفَ الْجَنِّيُّ إِلَى سَبِيلِهِ. وَعَادَ «عَلَاءُ الدِّينِ» إِلَى بَيْتِهِ الْقَدِيمِ؛ فَأَخْضَرَ مِصْبَاحَهُ الْعَجِيبَ، وَوَضَعَهُ فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْقَصْرِ الْجَدِيدِ.



(١١) الإمبراطورُ فِي قَصْرِ «عَلَاءِ الدِّينِ»

ثُمَّ أَسْرَعَ «عَلَاءُ الدِّينِ» إِلَى الإمبراطورِ، وَدَعَاهُ إِلَى زِيَارَةِ قَصْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي شَيَّدهُ لِلْإِمِيرَةِ: «بَدْرِ الْبُدُورِ».

وَكَانَ الإمبراطورُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ وَاقِفًا مَعَ كَبِيرِ وُزَرَائِهِ يَنْظُرَانِ إِلَى قَصْرِ «عَلَاءِ الدِّينِ» — الَّذِي تَمَّ إِنشَاؤُهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ — بِدَهْشَةٍ وَحَيْرَةٍ شَدِيدَتَيْنِ. وَكَانَ كَبِيرُ الْوُزَرَاءِ حَاقِدًا عَلَى «عَلَاءِ الدِّينِ»، مُنْطَوِيًا عَلَى عِدَاوَتِهِ وَبُغْضِهِ؛ لِأَنَّهُ صَاهَرِ الإمبراطورَ، بَعْدَ أَنْ عَجَزَ ابْنُهُ عَنْ مُصَاهَرَتِهِ، وَالتَّرُوجِ بِابْنَتِهِ.

فَقَالَ الْوَزِيرُ لِلْإمبراطورِ: «لَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ سَاحِرٌ. فَلَيْسَ فِي مَقْدُورِ إِنْسَانٍ — مَهْمَا يَنْلِ مِنَ الْغِنَى وَالْقُوَّةِ — أَنْ يُشَيِّدَ مِثْلَ هَذَا الْقَصْرِ الْفَخْمِ الْكَبِيرِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.»

زَوَاجُ الْأَمِيرَةِ

فَقَالَ لَهُ الْإِمْبَرَاطُورُ: «لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُقَدِّمَ لَنَا تِلْكَ
الْهَدَايَا النَّفِيسَةَ الَّتِي لَا تُوجَدُ فِي خَزَائِنِ أَكْثَرِ الْمُلُوكِ!»
ثُمَّ جَاءَ «عَلَاءُ الدِّينُ»: فَانْقَطَعَ الْحَدِيثُ. وَهَشَّ لَهُ الْإِمْبَرَاطُورُ (تَبَسَّمَ وَارْتَأَى لِلِقَائِهِ)
وَصَافَحَهُ هُوَ وَكَبِيرُ وُزَرَائِهِ.
وَمَا إِنَّ دَعَاهُمَا «عَلَاءُ الدِّينِ» إِلَى زِيَارَةِ قَصْرِهِ، حَتَّى لَبَاهُ الْإِمْبَرَاطُورُ مُبْتَهَجًا
مَسْرُورًا. وَقَدْ أُعْجِبَ بِالْبَسَاطَةِ الْفَاحِشِ، الْمَصْنُوعِ مِنَ الْقَطِيفَةِ النَّادِرَةِ، الَّذِي فَرَشَهُ فِي
طَرِيقِهِ، كَمَا أُعْجِبَ بِكُلِّ مَا رَأَاهُ فِي قَصْرِ «عَلَاءِ الدِّينِ».



ثُمَّ وَقَفُوا جَمِيعًا فِي الْحُجْرَةِ ذَاتِ الْأَرْبَعِ وَالْعِشْرِينَ نَافِذَةً؛ فَاشْتَدَّ عَجَبُ الْإِمْبَرَاطُورِ
مَنْ حُسْنِ تَقْسِيمِهَا وَهَنْدَسَتِهَا، وَجَمَالِ نَوَافِذِهَا، وَفَخَامَةِ أَثَانِهَا وَفِرَاشِهَا. وَمَا زَالُوا
يَتَحَدَّثُونَ حَتَّى جَاءَ مَوْعِدُ الْعَدَاءِ؛ فَمَدَّتْ لَهُمْ مَائِدَةً حَافِلَةً، لَمْ يَرَ مِثْلَهَا الْإِمْبَرَاطُورُ فِي
حَيَاتِهِ.

(١٢) «بَدْرُ الْبُدُورِ» فِي الْقَصْرِ الْجَدِيدِ

وَلَمَّا عَادُوا إِلَى قَصْرِ الْإِمْبَرَاطُورِ، أَمَرَ الْإِمْبَرَاطُورُ بِدَقِّ الطُّبُولِ، وَإِقَامَةِ زِينَةِ الْعُرْسِ — فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ — ابْتِهَاجًا بِزَوَاجِ الْأَمِيرَةِ «بَدْرِ الْبُدُورِ» بِصَاحِبِنَا «عَلَاءِ الدِّينِ».



وَمَا إِنَّ حَانَ وَقْتُ الْمَسَاءِ، حَتَّى أَصْبَحَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا فِي عُرْسٍ وَضِيَاءٍ. وَقَدْ فَرِحَتِ الْأَمِيرَةُ «بَدْرُ الْبُدُورِ» بِقَصْرِهَا الْجَدِيدِ، كَمَا فَرِحَ «عَلَاءُ الدِّينِ» بِزَوَاجِهِ ابْنَةَ الْإِمْبَرَاطُورِ، وَتَمَّتْ لَهُمَا السَّعَادَةُ وَالْحُبُورُ.

وَكَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» كَثِيرًا مَا يَخْرُجُ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ عِدَّةَ أَيَّامٍ، فَإِذَا عَادَ إِلَى قَصْرِهِ تَصَدَّقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُعَوِّزِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَالْمَسَاكِينَ. وَكَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ — فِي كُلِّ يَوْمٍ — يَذْهَبُ إِلَى قَصْرِ ابْنَتِهِ «بَدْرِ الْبُدُورِ» فِي الصَّبَاحِ؛ فَيَزُورُهَا وَيُحْيِيهَا، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى دِيْوَانِهِ؛ فَيَحْكُمُ بَيْنَ الْمُتَقَاضِينَ بِالْعَدْلِ.

زَوَاجُ الْأُمَيْرَةِ

وَهَكَذَا مَضَى عَامٌ بِأَكْمَلِهِ، وَهُمْ فِي أَسْعَدِ حَالٍ، وَأَهْنَأِ بَالٍ.

الفصل الخامس

عَوْدَةُ السَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ

(١) حُلْمُ السَّاحِرِ

عَادَ السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ — كَمَا قُلْنَا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ — إِلَى «إِفْرِيقِيَّة»، بَعْدَ أَنْ أَغْلَقَ بَابَ الْكَنْزِ عَلَى «عَلَاءِ الدِّينِ».

وَلَمْ يَشْكُ السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ فِي أَنَّ «عَلَاءَ الدِّينِ» قَدْ هَلَكَ دَاخِلَ الْكَنْزِ. وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ، وَالسَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ لَا يُفَكِّرُ فِي «عَلَاءِ الدِّينِ».

وَفِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي، رَأَى السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ — فِي مَنَامِهِ — أَنَّ «عَلَاءَ الدِّينِ» قَدْ أَصْبَحَ أَمِيرًا؛ فَقَامَ مِنْ نَوْمِهِ خَائِفًا مَدْعُورًا، وَأَحْضَرَ رَمْلَهُ، وَظَلَّ يَسْتَخْبِرُهُ بِمَا أُوتِيَ (بِمَا أُعْطِيَ وَأُفْهِمَ) مِنْ عُلُومِ السَّحْرِ؛ لِيَعْرِفَ مَا آلَ (مَا صَارَ) إِلَيْهِ أَمْرُ «عَلَاءِ الدِّينِ»؛ فَعَرَفَ مِنَ الرَّمْلِ كُلِّ شَيْءٍ.

فَاشْتَدَّ غَيْظُهُ، وَأَسْرَعَ بِإِحْضَارِ فَرَسِهِ وَزَادِهِ. وَمَا زَالَ يُوَاصِلُ السَّيْرَ مُسْرِعًا أَيَّامًا وَشُهُورًا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى بِلَادِ الصِّينِ.

وَمَا وَصَلَ حَتَّى تَرَكَ فَرَسَهُ فِي فُنْدُقٍ (وَالْفُنْدُقُ — كَمَا تَعْلَمُونَ — خَانٌ يَنْزِلُ فِيهِ الْمُسَافِرُونَ)، وَذَهَبَ يَجُولُ فِي الْمَدِينَةِ، يُحَاوِلُ أَنْ يَتَعَرَّفَ مَا يَقُولُهُ النَّاسُ عَنْ «عَلَاءِ الدِّينِ».

وَمَا إِنْ اسْتَقَرَّ بِهِ الْجُلُوسُ، حَتَّى سَمِعَ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ مُعْجَبِينَ بِفَضَائِلِ الْأَمِيرِ «عَلَاءِ الدِّينِ» وَكَرَمِهِ، وَيُظْهِرُونَ دَهْشَتَهُمْ الشَّدِيدَةَ مِنْ ثُرَوَتِهِ الطَّائِلَةِ وَغِنَاهُ الزَّائِدِ الْبَالِغِ،

وَقَدَّرْتَهُ الْعَجِيبَةَ عَلَى الْإِثْنَيْنِ بِجَلَالِ الْأَعْمَالِ (عَظِيمِهَا)، وَيَتَسَاءَلُونَ: كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يُشِيدَ قَصْرًا لَا مَثِيلَ لَهُ فِي الْعَالَمِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ؟

فَسَأَلَهُمُ السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ: «مَنْ هُوَ عَلَاءُ الدِّينِ؟»

فَعَجَبُوا مِنْ سُؤَالِهِ، وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَرِيبٌ عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ.

فَقَصُّوا عَلَيْهِ كُلَّ مَا عَرَفُوهُ عَنْ «عَلَاءِ الدِّينِ».

فَأَظْهَرَ السَّاحِرُ شَوْقَهُ إِلَى رُؤْيَا ذَلِكَ الْقَصْرِ الْعَلَائِيِّ.

فَسَارَ مَعَهُ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ، وَدَلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ.

وَمَا إِنْ رَأَى السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ فَخَامَةَ الْقَصْرِ الْعَلَائِيِّ، حَتَّى أَتَقَنَّ أَنَّ «عَلَاءَ الدِّينِ»

قَدْ اسْتَعَانَ — بِلَا شَكٍّ — بِخَدَمِ الْمُصْبَاحِ فِي تَشْيِيدِ الْقَصْرِ. فَلَيْسَ فِي مَقْدُورِهِ —

وَهُوَ ابْنُ خَائِطٍ فَقِيرٍ — أَنْ يَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْمَكَانَةِ بِنَفْسِهِ، دُونَ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْمُصْبَاحِ

الْعَجِيبِ الَّذِي هَدَاهُ إِلَيْهِ.

فَذَهَبَ السَّاحِرُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، وَسَأَلَ بَوَّابَ الْقَصْرِ عَنْ صَاحِبِهِ.

فَأَخْبَرَهُ الْبَوَّابُ أَنَّ «عَلَاءَ الدِّينِ» قَدْ خَرَجَ لِلصَّيْدِ، مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَنْ يَعُودَ إِلَى

قَصْرِهِ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ.

فَرَأَى السَّاحِرُ أَنَّ الْفُرْصَةَ سَانِحَةٌ لِلانْتِقَامِ.

(٢) بَائِعُ الْمَصَابِيحِ

ثُمَّ عَادَ السَّاحِرُ إِلَى الْفُنْدُقِ — وَقَدْ اشْتَدَّ بِهِ غَيْظُهُ مِنْ «عَلَاءِ الدِّينِ» — وَاسْتَخْبَرَ الرَّمْلَ

عَنْ مَكَانِ الْمُصْبَاحِ؛ فَعَلِمَ أَنَّهُ فِي الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَخْدَعِ الْأَمِيرَةِ: «بَدْرِ الْبُدُورِ» (مَكَانِ

نَوْمِهَا).

فَفَكَّرَ فِي طَرِيقَةٍ يَحْصُلُ بِهَا عَلَيْهِ. وَمَا زَالَ يَفَكِّرُ. حَتَّى اهْتَدَى إِلَى حِيلَةٍ نَاجِحَةٍ؛

فَذَهَبَ إِلَى دُكَّانٍ، وَاشْتَرَى مِنْهُ عَشْرَةَ مَصَابِيحَ جَدِيدَةٍ، وَوَضَعَهَا فِي سَلَّةٍ كَبِيرَةٍ (أَعْنِي:

فِي وَعَاءٍ يَحْمِلُ فِيهِ مَا يَشْتَرِي مِنَ السُّوقِ وَنَحْوِهِ). وَسَارَ بِهِذِهِ السَّلَّةِ، حَتَّى إِذَا قَرُبَ مِنْ

قَصْرِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَلَا مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي مَصَابِيحَ جَدِيدَةٍ، وَيَبِيعُنِي

بِهَا مَصَابِيحَ قَدِيمَةً؟»



وَمَا أَتَمَّ نِدَاءَهُ حَتَّى عَجِبَ الْأَطْفَالُ وَالصَّبِيَّانُ مِنْ بَلَهِ الرَّجُلِ وَخَبَالِهِ (ضَعْفِ عَقْلِهِ وَاضْطِرَابِ ذَهْنِهِ)، وَجَرَوْا خَلْفَهُ يَتَمَاجُنُونَ، وَيَعْبَثُونَ بِهِ وَيَسْخَرُونَ. وَعَلَا صِيَاحُهُمْ، وَاشْتَدَّتْ جَلْبَنُهُمْ، وَارْتَفَعَتْ صَجَبَتُهُمْ وَضَوْأُوهُمْ؛ فَأَطْلَتِ الْأَمِيرَةُ «بَدْرُ الْبُدُورِ»، فَعَجِبَتْ مِنْ هَذَا الْمَنْظَرِ، وَأَرْسَلَتْ إِحْدَى جَوَارِيهَا لِتَسْتَطْلِعَ جَلِيَّةَ الْخَبَرِ (تَتَعَرَّفَ حَقِيقَتَهُ). فَلَمَّا عَادَتِ الْجَارِيَةُ، أَخْبَرَتِ الْأَمِيرَةَ وَهِيَ ضَاكِكَةٌ: أَنَّ رَجُلًا يَبِيعُ مَصَابِيحَ جَدِيدَةً، وَيَأْخُذُ بِتَمَنِّيهِهَا قَدِيمَةً.

فَعَجِبَتِ الْأَمِيرَةُ «بَدْرُ الْبُدُورِ» — هِيَ وَجَوَارِيهَا — مِنْ بَلَاهَةِ الرَّجُلِ. ثُمَّ قَالَتْ لَهَا إِحْدَى الْجَوَارِي: «لَا أَظُنُّ هَذَا الرَّجُلَ صَادِقًا فِيمَا يَقُولُ!»

فَقَالَتْ أُخْرَى: «نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَبَيَّنَ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ فِي الْحَالِ؛ فَإِنَّ فِي الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِحُجْرَةِ سَيِّدَتِي الْأَمِيرَةِ مِصْبَاحًا قَدِيمًا؛ فَلْنُعْطِهِ إِيَّاهُ، وَلْنَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ بِهِ». فَأَمَرَتْهَا الْأَمِيرَةُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ بِالْمِصْبَاحِ لِتَسْتَبْدِلَ بِهِ. فَذَهَبَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى بَائِعِ الْمَصَابِيحِ، وَأَعْطَتْهُ مِصْبَاحَ «عَلَاءِ الدِّينِ» — وَهِيَ تَجْهَلُ قِيمَتَهُ — فَأَعْطَاهَا فِي الْحَالِ مِصْبَاحًا جَدِيدًا، فَعَادَتْ بِهِ إِلَى سَيِّدَتِهَا فَرِحَةً مَسْرُورَةً.

وَعَادَ السَّاجِرُ بِمِصْبَاحِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَهُوَ يَكَادُ يَجُنُّ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ. ثُمَّ كَفَّ عَنِ الصِّيَاحِ، وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ مُسْرِعًا، حَتَّى اسْتَخْفَى عَنْ نَظَرِ الصَّبِيَّةِ وَالْأَطْفَالِ.

وَمَا زَالَ سَائِرًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ. وَصَبَرَ حَتَّى جَاءَ الْمَسَاءُ، وَقَدْ عَزَمَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ حَصَمِهِ «عَلَاءِ الدِّينِ».

(٣) فِي مَجَاهِلِ «إِفْرِيقِيَّةَ»

وَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ (أَظْلَمَ)، أَخْرَجَ السَّاحِرُ الْمُصْبَاحَ مِنْ صَدْرِهِ وَفَرَكَهُ. فَمَثَلَ أَمَامَهُ الْجِنِّيُّ، وَقَالَ لَهُ: «مُرْنِي بِمَا تُرِيدُ يَا مَوْلَايَ، فَإِنِّي فِي خِدْمَتِكَ، أَنَا وَجَمِيعُ أَعْوَانِي: خَدَمَ الْمُصْبَاحِ».



فَقَالَ لَهُ السَّاحِرُ: «أَمُرُكَ أَنْ تَنْقُلَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ — أَنْتَ وَأَعْوَانُكَ — قَصْرَ «عَلَاءِ الدِّينِ» بِكُلِّ مَا فِيهِ، إِلَى مَجَاهِلِ «إِفْرِيقِيَّةَ» (أَنْحَائِهَا الْغَامِضَةُ الَّتِي لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا أَحَدٌ)، كَمَا أَمُرُكَ أَنْ تَنْقُلَنِي مَعَهُ».

فَقَالَ لَهُ الْجِنِّيُّ: «سَمْعًا وَطَاعَةً لَكَ، يَا مَوْلَايَ!»
وَلَمْ تَمُرْ سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ، حَتَّى انْتَقَلَ السَّاحِرُ، وَالْقَصْرُ وَمَا فِيهِ، إِلَى «إِفْرِيقِيَّةَ».

(٤) غَضَبُ الْإِمْبِرَاطُورِ

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي قَامَ الْإِمْبِرَاطُورُ مُبَكَّرًا فِي الصَّبَاحِ كَعَادَتِهِ، فَأَطْلَّ مِنْ النَّافِذَةِ، فَلَمْ يَرَ قَصْرَ ابْنَتِهِ. فَحَسِبَ أَنَّهُ مَخْدُوعٌ فِيمَا يَرَى؛ فَفَرَكَ عَيْنَيْهِ، وَأَنْعَمَ النَّظَرَ (دَقَّقَهُ)؛ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا. فَاشْتَدَّتْ دَهْشَتُهُ. وَأَسْرَعَ إِلَى مَكَانِ الْقَصْرِ، فَلَمْ يَرَ لَهُ أَثَرًا.



فَعَجِبَ — مِنْ ذَلِكَ — أَشَدَّ الْعَجَبِ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «تُرَى هَلِ انْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَبَلَعَتْهُ، أَمْ طَارَ فِي السَّمَاءِ فَاحْتَوَتْهُ؟»

وَوَضَعَ فِي حَيْرَتِهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِ كَبِيرِ وُزَرَائِهِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَدَثَ. فَاشْتَدَّ عَجَبُهُ، وَرَأَى الْفُرْصَةَ سَاحَةً لِلْكَيْدِ لِمَنَافِسِهِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ قُلْتُ لِمَوْلَايَ — مِنْ قَبْلُ — إِنَّ الْقَصْرَ مِنْ عَمَلِ السَّحَرِ، وَإِنَّ «عَلَاءَ الدِّينِ» سَاجِرٌ؛ فَلَمْ يُصَدِّقْنِي الْإِمْبِرَاطُورُ فِيمَا قُلْتُ. وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ قَدْ بَيَّنَّتْ صِدْقَ ظَنِّي.»

فَغَضِبَ الْإِمْبِرَاطُورُ عَلَى «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَأَمَرَ أَعَوَانَهُ بِالْبَحْثِ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لِيَأْتُوهُ بِهِ مُكَبَّلًا (مَرْبُوطًا) بِالْقُيُودِ وَالْأَعْلَالِ.

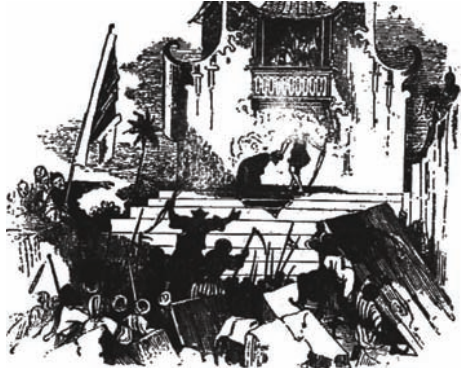
عَلَاءُ الدِّينِ

فَذَهَبُوا يَبْحَثُونَ عَنْهُ، حَتَّى وَجَدُوهُ عَلَى مَسَافَةٍ نِصْفِ مِيلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ. فَاقْتَرَبَ مِنْهُ قَائِدُهُمْ، وَأَبْلَغَهُ غَضَبَ الْإِمْبِرَاطُورِ وَأَمَرَهُ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ. فَدَهَشَ «عَلَاءُ الدِّينِ» وَسَأَلَهُ عَنْ سِرِّ هَذَا الْغَضَبِ.

فَقَالَ لَهُ الْقَائِدُ: «لَسْتُ أَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ شَيْئًا». فَلَمْ يُمَانِعْ «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَسَارَ مَعَهُمْ مُسْتَسْلِمًا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ.

(٥) بَيْنَ يَدَيِ السَّيَافِ

وَمَا وَصَلَ «عَلَاءُ الدِّينِ» إِلَى الْمَدِينَةِ — وَهُوَ مُكْبَلٌ بِالْأَغْلَالِ وَالْأَصْفَادِ — حَتَّى دَهَشَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ — مِمَّا رَأَوْا — أَشَدَّ دَهْشَةٍ، وَسَارَ الْخَبَرُ بَيْنَهُمْ بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ.



وَكَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» — كَمَا قُلْنَا — مُحْسِنًا كَرِيمًا، بَارًا بِالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ؛ فَاحْبَبَهُ الشَّعْبُ حُبًّا شَدِيدًا.

فَلَمَّا رَأَاهُ النَّاسُ مُصَفَّدًا (مُقَيَّدًا) بِالْأَغْلَالِ، بَكَوْا لِمَا أَصَابَهُ، وَتَأَلَّمُوا أَشَدَّ التَّأَلُّمِ. وَاجْتَمَعَ كِبَرَاءُ الْمَمْلَكَةِ وَأَعْيَانُهَا لِيُقَابِلُوا الْإِمْبِرَاطُورَ، وَيَسْتَفْسِرُوا عَنْ سَبَبِ نِقْمَتِهِ وَسُخْطِهِ عَلَى صِهرِهِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَيَتَشَفَّعُوا لَهُ عِنْدَهُ.

أَمَّا الْإِمْبَرَاطُورُ فَلَمْ يَكُدْ بَصَرُهُ يَقَعُ عَلَى «عَلَاءِ الدِّينِ» حَتَّى أَمَرَ السِّيَافَ بِقَطْعِ رَأْسِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ.

فَفَكَ السِّيَافُ الْأَصْفَادَ (سَلَاسِلَ الْحَدِيدِ وَأَغْلَالَهُ) الَّتِي كَانَتْ فِي عُنُقِ «عَلَاءِ الدِّينِ» وَيَدَيْهِ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ عَصَبَ (رَبَطَ) عَيْنَيْ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَسَلَّ سَيْفَهُ عَلَيْهِ، وَوَقَفَ يَتَرَقَّبُ أَمْرَ الْإِمْبَرَاطُورِ بِقَتْلِهِ.

(٦) شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ

وَلَقَدْ كَادَ السِّيَافُ يَهْوِي بِالسَّيْفِ عَلَى رَقَبَةِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَلَكِنَّ أَحَدَ الْوُزَرَاءِ تَقَدَّمَ يَشْفَعُ عِنْدَ الْإِمْبَرَاطُورِ لَهُ. ثُمَّ تَقَدَّمَ ثَانٍ وَثَالِثٌ — مِنْ حَاشِيَةِ الْإِمْبَرَاطُورِ — يَسْأَلُونَهُ الصَّفْحَ عَنْ جَرِيمَتِهِ.

وَمَا انْتَهَوْا مِنْ شَفَاعَتِهِمْ وَوَسَاطَتِهِمْ، حَتَّى دَخَلَ وَقْدٌ مِنْ سَرَادِ الْبَلَدِ وَأَعْيَانِهِ الْمُعْجَبِينَ بِشَهَامَةِ «عَلَاءِ الدِّينِ» وَكَرَمِهِ وَنُبْلِ أَخْلَاقِهِ، فَتَوَسَّلُوا إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ أَنْ يَقْبَلَ شَفَاعَتَهُمْ فِيهِ.

وَرَأَى كَبِيرُ الْوُزَرَاءِ عَطْفَ الشَّعْبِ كُلِّهِ عَلَى «عَلَاءِ الدِّينِ»، فَاسْرَّ إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ أَنْ يَقْبَلَ شَفَاعَةَ الشَّافِعِينَ، وَأَنْ يُوجَّلَ انتِقَامُهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ. فَرَأَى الْإِمْبَرَاطُورُ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَعْدِلَ عَنْ قَتْلِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، وَأَنْ يُؤَخَّرَ انتِقَامُهُ مِنْهُ، حَتَّى تَهْدَأَ خَوَاطِرُ النَّاسِ. فَأَمَرَ السِّيَافَ بِفَكَ قَيْودِهِ، وَإِخْلَاءِ سَبِيلِهِ.

فَنَهَضَ «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَقَالَ مُتَادِّبًا: «أَشْكُرُ لِمَوْلَايَ الْإِمْبَرَاطُورِ تَفَضُّلَهُ بِالْعَفْوِ عَنِّي، وَأَرْجُو أَنْ يُضِيفَ — إِلَى فَضْلِهِ هَذَا — فَضْلًا آخَرَ، فَيَعْرِفَنِي: مَا الَّذِي أَثَارَ غَضَبَهُ عَلَيَّ؟ فَلَسْتُ أَعْلَمُ — إِلَى الْآنَ — أَيَّ ذَنْبٍ جَنَيْتُ، حَتَّى اسْتَحَقَّقْتُ غَضَبَ الْإِمْبَرَاطُورِ؟»

فَلَمْ يُجِبْهُ الْإِمْبَرَاطُورُ بِشَيْءٍ، بَلْ أَمْسَكَ بِيَدِهِ، وَسَارَ بِهِ إِلَى نَافِذَةِ قَصْرِهِ، وَسَأَلَهُ غَاضِبًا: «خَبِّرْنِي: أَيْنَ ذَهَبَ قَصْرُكَ؟ وَأَيْنَ ذَهَبَتْ ابْنَتِي؟»

فَدَارَ «عَلَاءُ الدِّينِ» بِبَصَرِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَلَمْ يَرَ أَثَرًا لِقَصْرِهِ؛ فَذَهَلَ، وَلَمْ يُجِبِ الْإِمْبَرَاطُورَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ.

فَاعَادَ عَلَيْهِ الْإِمْبَرَاطُورُ سُؤَالَهُ.

فَأَفَاقَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِنْ ذُهُولِهِ، وَقَالَ لَهُ: «لَسْتُ أَذْرِي: أَيْنَ ذَهَبَ الْقَصْرُ؟ وَإِنِّي لَفِي حَيْرَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ أَمْرِي، وَلَيْسَ جَزْعِي لِفَقْدِ زَوْجِي بِأَقْلٍ مِنْ جَزْعِ مَوْلَايَ لِفَقْدِ ابْنَتِهِ. وَلَنْ أَذْخَرَ وَسْعًا فِي سَبِيلِ الْبَحْثِ عَنْهَا. فَإِذَا أَمَهَلَنِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَلَمْ أُوَفِّقْ فِي خِلَالِهَا إِلَى الْعُنُورِ عَلَيْهَا، كُنْتُ جَدِيرًا بِأَنْ أُصْلَبَ.»

فَقَالَ لَهُ الْإِمْبِرَاطُورُ: «لَكَ ذَلِكَ. وَلَكِنْ ثِقْ أَنَّي مُهْلُكَ إِذَا أَخَفَقْتَ وَخَبْتَ فِي سَعْيِكَ، وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْهَرَبَ مِنِّي فِي أَيِّ مَكَانٍ.»

فَخَرَجَ «عَلَاءُ الدِّينِ» — وَهُوَ مَذْهُولٌ حَائِرٌ، يَتَعَثَّرُ (يَتَسَاقَطُ) فِي أَذْيَالِ الْخَيْبَةِ — وَسَارَ فِي الْمَدِينَةِ كَالْمَجْنُونِ، يَسْأَلُ كُلَّ مَنْ لَقِيَهُ مِنَ النَّاسِ: «أَيْنَ ذَهَبَ قَصْرِي؟ وَأَيْنَ ذَهَبَتْ زَوْجِي؟»

فَيَحْزَنُ عَارِفُوهُ — لِمَا أَصَابَهُ — وَيَتَأَلَّمُونَ لِنَكْبَتِهِ (مُصِيبَتِهِ)، وَيَرْتُثُونَ (يَرْقُونَ) لَهُ، وَيَسْخَرُ مِنْهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ مِنَ النَّاسِ.

الفصل السادس

انتقام علاء الدين

(١) بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

وَمَا زَالَ «عَلَاءُ الدِّينِ» حَائِرًا ذَاهِلًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ لَمْ يُطِقِ الْبَقَاءَ فِي مَدِينَةٍ كَانَ فِيهَا مَوْضِعُ الْإِجْلَالِ وَالاحْتِرَامِ، فَصَارَ مَوْضِعَ السُّخْرِيَةِ وَالرَّثَاءِ (الشَّفَقَةِ وَالْحَنَانِ).

فَخَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ، وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ — وَهُوَ لَا يَعْلَمُ: إِلَى أَيِّ جِهَةٍ يَقْصِدُ — وَقَدْ اشْتَدَّتْ بِهِ حَيْرَتُهُ وَيَأْسُهُ (انْقِطَاعُ أَمَلِهِ وَرَجَائِهِ). وَهَمَّ بِالْقَاءِ نَفْسِهِ فِي النَّهْرِ؛ وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ الْإِسْتِسْلَامَ لِلْيَأْسِ لَيْسَ مِنْ شِيَمِ الرِّجَالِ (أَخْلَاقِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ)، وَأَنَّهُ لَا يَبْنِئُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (أَعْنِي: لَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُطُ رَجَاؤُهُ مِنَ الْفَرَجِ إِلَّا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ).

فَأَسْلَمَ لِلَّهِ أَمْرَهُ، وَوَثَّقَ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَمُلْهُمُهُ التَّوْفِيقَ.

(٢) الْأَمَلُ بَعْدَ الْيَأْسِ

ثُمَّ دَعَا اللَّهَ أَنْ يُفَرِّجَ كُرْبَتَهُ (ضِيقَهُ)، وَأَنْ يُلْهِمَهُ الرُّشْدَ وَالسَّدَادَ. وَذَهَبَ إِلَى النَّهْرِ لِيَتَوَضَّأَ، فَزَلِقَتْ قَدَمُهُ، وَسَقَطَ فِي الْمَاءِ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْغَرَقِ. وَلَكِنَّهُ وَجَدَ — لِحُسْنِ حَظِّهِ — صَخْرَةً مُرْتَفِعَةً بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّاطِئِ، فَتَعَلَّقَ بِهَا، وَهَمَّ بِالصُّعُودِ؛ فَاحْتَكَّ الْخَاتَمَ — الَّذِي فِي إِصْبَعِهِ — بِتِلْكَ الصَّخْرَةِ وَكَانَ «عَلَاءُ الدِّينِ» قَدْ نَسِيَ — لَطُولِ الْعَهْدِ — ذَلِكَ الْخَاتَمَ السُّحْرِيَّ — الَّذِي أَعْطَاهُ إِيَّاهُ السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْكَنْزَ —

وَنَسِيَ أَنَّ الْخَاتَمَ كَانَ سَبَبَ نَجَاتِهِ وَخُرُوجِهِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُنْزِ مِنْ قَبْلُ. وَمَا كَادَ الْخَاتَمُ يَحْتَكُ بِالصَّخْرَةِ حَتَّى ظَهَرَ أَمَامَهُ الْجِنِّي خَادِمُ الْخَاتَمِ، وَقَالَ لَهُ: «لَبَيْكَ يَا مَوْلَايَ. مُرْنِي أُطْعَكَ.»

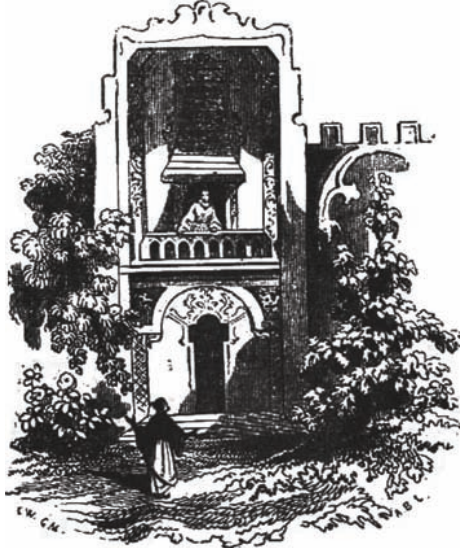
فَذَكَرَ «عَلَاءُ الدِّينِ» — فِي الْحَالِ — أَنَّ هَذَا الْجِنِّي هُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ — مِنْ قَبْلُ — وَهُوَ فِي ظُلُمَاتِ الْكُنْزِ، وَكَانَ قَدْ نَسِيَهُ أَيْضًا كَمَا نَسِيَ الْخَاتَمَ. فَقَالَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»: «أَنْقِذْنِي أَوَّلًا مِمَّا أَنَا فِيهِ.» فَأَنْقَذَهُ فِي الْحَالِ. فَقَالَ لَهُ: «أَعِذْ إِلَيَّ قَصْرِي.» فَأَجَابَهُ الْجِنِّي: «لَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ يَا مَوْلَايَ؛ فَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أُحَارِبَ خَدَمَ الْمُصْبَاحِ الَّذِينَ نَقَلُوا قَصْرَكَ إِلَى «إِفْرِيقِيَّة»؛ فَإِنَّهُمْ أَقْوَى عَصِيَّةٍ (أَشَدُّ طَائِفَةً) مِنَ الْجِنِّ، وَرَبِّيسُهُمْ هُوَ أَكْبَرُ مُلُوكِ الْجِنِّ، وَأَقْوَاهُمْ بَأْسًا (أَعْظَمُهُمْ شِدَّةً وَقُوَّةً).» فَقَالَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»: «إِذَنْ فَاَنْقِذْنِي إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي نُقِلَ إِلَيْهِ قَصْرِي.» فَنَقَلَهُ الْجِنِّي — فِي الْحَالِ — إِلَى حَيْثُ نُقِلَ الْقَصْرُ.

(٣) أَمَامَ الْقَصْرِ

وَوَقَفَ «عَلَاءُ الدِّينِ» أَمَامَ الْقَصْرِ، وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ حَالِكَةً الظَّلَامِ (شَدِيدَةً السَّوَادِ). وَلَكِنَّهُ اهْتَدَى — بِرَغْمِ هَذَا — إِلَى حُجْرَةِ الْأَمِيرَةِ: «بَدْرِ الْبُذُورِ»؛ فَوَقَفَ أَمَامَهَا يَذْكُرُ أَيَّامَ سَعَادَتِهِ السَّابِقَةِ، ثُمَّ هَاجَتْهُ الذُّكْرَى (أَثَارَتُهُ وَدَفَعَتْهُ)، فَبَكَى. وَكَانَ قَدْ جَهَدَهُ السَّهَرُ (أَتْعَبَهُ وَأَضْنَاهُ) فِي الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ؛ فَشَعَرَ بِحَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى النَّوْمِ، فَأَوَى إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْقَصْرِ، فَنَامَ تَحْتَهَا طُولَ اللَّيْلِ؛ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ؛ فَذَهَبَ إِلَى الْقَصْرِ، وَوَقَفَ تَحْتَ نَافِذَةِ الْأَمِيرَةِ «بَدْرِ الْبُذُورِ». وَكَانَتْ — لِحُسْنِ حَظِّهِ — قَدْ اسْتَيْقَظَتْ فِي الصَّبَاحِ مُبَكَّرَةً، عَلَى غَيْرِ عَادَتِهَا. فَمَا رَأَتْهُ حَتَّى اشْتَدَّتْ دَهْشَتُهَا وَفَرَحُهَا، فَاسْرَعَتْ إِلَى بَابٍ صَغِيرٍ مِنْ أَبْوَابِ الْقَصْرِ، فَفَتَحَتْهُ لَهُ، وَأَدْخَلَتْهُ عِنْدَهَا، وَكَانَ فَرَحُهَا بِلِقَائِهِ لَا يُوصَفُ. وَمَا إِنْ اسْتَقَرَّ بِهِ الْجُلُوسُ حَتَّى قَصَّتْ عَلَيْهِ مَا فَعَلَهُ السَّاحِرُ الْإِفْرِيقِيُّ الْخَبِيثُ، وَكَيْفَ حَاوَلَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِهَا، وَكَيْفَ هَدَّهَا بِالْقَتْلِ إِذَا لَمْ تَرْضَ بِالزَّوْاجِ، وَكَيْفَ سَخِرَتْ مِنْ وَعِيدِهِ. فَأَذْرَكَ «عَلَاءُ الدِّينِ» أَنَّ السَّاحِرَ الْإِفْرِيقِيَّ لَمْ يَنْسَهُ

اِنْتِقَامُ عَلَاءِ الدِّينِ

بَعْدَ مُضِيِّ هَذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ. ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ مِصْبَاحِهِ؛ فَأَدْرَكَتْ سِرَّ مَا حَدَثَ لَهَا مِنْ
النُّكَبَاتِ، وَقَالَتْ لَهُ: «إِنَّ السَّاجِرَ قَدْ وَضَعَهُ فِي صَدْرِهِ.»



فَعَزَمَ «عَلَاءُ الدِّينِ» عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ السَّاجِرِ، حَتَّى يَخْلُصَ مِنْ شُرُورِهِ وَكَيْدِهِ،
وَدَبَّرَ مَعَ زَوْجِهِ الْوَسِيلَةَ الَّتِي يَسْلُكُهَا لِإِهْلَاكِهِ.

(٤) اِنْتِصَارُ «عَلَاءِ الدِّينِ»

ثُمَّ خَرَجَ «عَلَاءُ الدِّينِ» — وَقَدْ أَضْمَرَ الْإِنْتِقَامَ مِنْ عَدُوِّهِ السَّاجِرِ الْإِفْرِيقِيِّ — فَلَقِيَ فِي
طَرِيقِهِ زَارِعًا فَقِيرًا؛ فَأَعْطَاهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» ثِيَابَهُ الْجَدِيدَةَ الْغَالِيَةَ، وَأَخَذَ مِنْهُ ثِيَابَهُ الرِّثَّةَ
الْبَالِيَةَ (الْقَدِيمَةَ الْمُمَرَّقَةَ)؛ فَفَرِحَ الزَّارِعُ بِهَذَا الْبَدَلِ. وَلَبَسَ «عَلَاءُ الدِّينِ» ثِيَابَ الزَّارِعِ،
وَسَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُتَنَكِّرًا (مُتَخَفِيًا) فِي زِيَةِ الْجَدِيدِ؛ حَتَّى لَا يَعْرِفَهُ السَّاجِرُ الْإِفْرِيقِيُّ، إِذَا
رَأَاهُ. ثُمَّ اشْتَرَى شَيْئًا مِنَ الْعَقَاقِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمُنَوِّمَةِ، وَعَادَ بِهَا إِلَى الْأَمِيرَةِ: «بَدْرُ الْبُدُورِ».



فَلَمَّا خَيَّمَ الْمَسَاءُ وَعَادَ السَّاجِرُ الْإِفْرِيقِيَّ إِلَى الْقَصْرِ، خَفَّتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى لِقَائِهِ. فَفَرِحَ
السَّاجِرُ — بِهَذَا — وَانْخَدَعَ، وَحَسِبَ أَنَّهَا قَدْ تَرَكَتْ عِنَادَهَا حِينَ يَبْسُتُ مِنْ عَوْدَةِ «عَلَاءِ
الدِّينِ» إِلَيْهَا.



وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَحْضَرَتْ لَهُ قَدْحًا مِنَ الشَّرَابِ، بَعْدَ أَنْ وَضَعَتْ فِيهِ قَلِيلًا مِمَّا أَحْضَرَهُ
زَوْجُهَا، ثُمَّ قَدَّمَتْهُ إِلَيْهِ وَهِيَ تُسَامِرُهُ وَتَبْتَسِمُ لَهُ: فَأَخَذَ يَشْرَبُهُ. وَلَمْ يَنْتَهُ مِنْ شُرْبِهِ، حَتَّى

غَلَبَهُ النُّعَاسُ، فَنَامَ نَوْمًا عَمِيْقًا. فَاسْرَعَ «عَلَاءُ الدِّينِ» اِلَيْهِ، وَطَلَبَ اِلَى اَلْاُمِيْرَةِ اَنْ تَتْرَكَهُ مَعَهُ. ثُمَّ اَغْلَقَ بَابَ الْحُجْرَةِ عَلَيْهِ، وَاَخَذَ الْمَصْبَاحَ الَّذِي كَانَ يَخْبُوهُ السَّاحِرُ فِي ثِيَابِهِ، وَفَرَكَهُ. فَجَاءَهُ الْجِنِّيُّ — خَادِمُ الْمَصْبَاحِ — فِي الْحَالِ، وَسَأَلَهُ: مَاذَا يُرِيدُ؟



فَقَالَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»: «أَمْرُكَ اَنْ تَحْمِلَ هَذَا الرَّجُلَ، فَتَلْقِيَ بِهِ مِنْ قِمَّةِ طَوْدٍ شَاهِقٍ (رَأْسَ جَبَلٍ عَالٍ) اِلَى الْاَرْضِ؛ لِتَأْكُلَهُ الْوُحُوشُ وَجَوَارِحُ الطَّيْرِ (الَّتِي تَكْسِبُ طَعَامَهَا مِنْ صَيْدِهَا)؛ ثُمَّ تَنْقُلَ هَذَا الْقَصْرَ اِلَى مَكَانِهِ الْاَوَّلِ فِي بِلَادِ الصِّينِ.»



وَلَمْ يَمُضْ زَمَنٌ يَسِيرٌ، حَتَّى أَتَمَّ الْجَنِّي كُلَّ مَا أَمَرَهُ بِهِ «عَلَاءُ الدِّينِ».

(٥) فَرَحُ الْإِمْبِرَاطُورِ

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، اسْتَيْقَظَ الْإِمْبِرَاطُورُ مُبَكَّرًا كَعَادَتِهِ وَمَا أَطْلَّ مِنْ نَافِذَةِ قَصْرِهِ، حَتَّى رَأَى أَمَامَهُ قَصْرَ «عَلَاءِ الدِّينِ» فِي مَكَانِهِ الْأَوَّلِ! فَلَمْ يُصَدِّقْ مَا رَأَاهُ، وَظَنَّ أَنَّهُ حَالِمٌ. وَاشْتَدَّتْ بِهِ الدَّهْشَةُ، وَغَلَبَهُ الْفَرَحُ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْرِفَ: أَلَيْ يَقْطَعُهُ هُوَ أَمْ فِي مَنْامٍ؟ ثُمَّ جَرَى مُسْرِعًا إِلَى قَصْرِ ابْنَتِهِ لِيَتَحَقَّقَ صِدْقَ مَا رَأَاهُ؛ فَوَجَدَهَا مُطَلَّةً مِنَ النَّافِذَةِ، تَتَأَمَّلُ فِي قَصْرِ أَبِيهَا الَّذِي اشْتَدَّتْ وَحْشَتُهَا وَحَيْنُهَا إِلَيْهِ.

فَلَمَّا رَأَتْ أَبَاهَا مُقْبِلًا أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ وَعَانَقَتْهُ، وَبَكَيَا جَمِيعًا مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ. وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِمَا الْجُلُوسُ سَأَلَهَا عَمَّا حَدَثَ؛ فَقَصَصَتْ عَلَيْهِ كُلَّ مَا وَقَعَ لَهَا، وَكَيْفَ انْتَقَمَ «عَلَاءُ الدِّينِ» مِنَ السَّاجِرِ، وَأَلْقَى بِجُثَّتِهِ إِلَى النَّسُورِ.

اِنْتِقَامُ عَلَاءِ الدِّينِ

فَنَدِمَ الْإِمْبَرَاطُورُ عَلَى مَا أَسْلَفَهُ مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَى «عَلَاءِ الدِّينِ» الَّذِي لَمْ يَقْتَرِفْ إِثْمًا (لَمْ يَفْعَلْ ذَنْبًا).

ثُمَّ أَسْرَعَ إِلَى حُجْرَةِ «عَلَاءِ الدِّينِ»، فَأَيَّقَطَهُ مِنْ نَوْمِهِ، وَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَاعْتَذَرَ لَهُ مِنْ سُوءِ ظَنِّهِ بِهِ.

الفصل السابع

شَقِيقُ السَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ

(١) عُدُو جَدِيدُ

وَكَانَ لِلْسَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ شَقِيقٌ أَقْلٌ مِنْهُ بَرَاعَةٌ فِي السَّحْرِ، وَأَشَدُّ مِنْهُ دَهَاءً وَخُبْنًا، وَكَانَا يَلْتَقِيَانِ — فِي بِلَدِهِمَا بِإِفْرِيقِيَّةٍ — مَرَّةً فِي كُلِّ عَامٍ، ثُمَّ يَفْتَرِقَانِ، وَيَذْهَبُ كُلُّ مِنْهُمَا لِسَانِهِ، وَلَا يَعُودُ إِلَى شَقِيقِهِ إِلَّا فِي الْعَامِ التَّالِي.

فَلَمَّا مَضَى الْعَامُ، ذَهَبَ شَقِيقُ السَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ إِلَى بَلَدِهِ، وَانْتَظَرَ أَخَاهُ طَوِيلًا؛ فَلَمْ يَحْضُرْ. فَعَجِبَ مِنْ غِيَابِهِ أَشَدَّ الْعَجَبِ، وَرَاحَ يَسْتَخْبِرُ الرَّمْلَ عَنْ مَكَانِ أَخِيهِ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا بَيْنَ الْأَحْيَاءِ، فَاسْتَخْبِرَ الرَّمْلَ — ثَانِيَةً — عَنْ مَكَانِ أَخِيهِ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ، فَرَأَاهُ قَدْ هَلَكَ، وَأَكَلَتْ النُّسُورُ لَحْمَهُ. فَرَاحَ يَسْتَخْبِرُ الرَّمْلَ — مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى — حَتَّى عَرَفَ كُلَّ شَيْءٍ. فَبَنَى عَزْمَهُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ لِأَخِيهِ مِنْ «عَلَاءِ الدِّينِ»، كَلَّفَهُ مَا كَلَّفَهُ مِنْ عَنَاءٍ وَأَهْوَالٍ وَأَخْطَارٍ.

(٢) «فَاطِمَةُ» الرَّاهِدَةُ

وَمَا زَالَ السَّاحِرُ يَجِدُ فِي السَّيْرِ لَيْلًا وَنَهَارًا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الصَّيْنِ، وَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا «عَلَاءُ الدِّينِ»، حَيْثُ دَبَّرَ خُطَّةً خَبِيثَةً لِقَتْلِ عَدُوِّهِ، وَالْخَلَاصِ مِنْهُ. فَقَدْ سَمِعَ بَعْضُ النَّاسِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ امْرَأَةٍ صَالِحَةٍ تَقِيَّةٍ، اسْمُهَا «فَاطِمَةُ» الرَّاهِدَةُ. وَكَانُوا يَنْسُبُونَ لَهَا كَثِيرًا مِنَ الْكِرَامَاتِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَشْفِي الْمَرْضَى وَتُسْعِدُ الْمُنْحُوسِينَ. وَعَلِمَ أَنَّهَا تُقِيمُ

فِي صَوْمَعَةٍ (مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ يَسْكُنُهُ الْمُتَعَبِّدُونَ) فِي آخِرِ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ يَزُورُهَا طُلَّابُ
الْحَاجَاتِ فِي يَوْمَيِ الْاِثْنَيْنِ وَالْجُمُعَةِ مِنْ كُلِّ اسْبُوعٍ.
فَرَأَى السَّاحِرُ عَوْدَتَهَا — ذَاتَ يَوْمٍ — وَصَبَرَ عَلَيْهَا حَتَّى جَاءَ الْمَسَاءُ وَنَامَتْ؛
فَفَتَحَ الْبَابَ مِنْ غَيْرِ عَنَاءٍ.
وَكَانَتْ «فَاطِمَةُ» الزَّاهِدَةُ تَنَامُ مُطْمَئِنَّةً، وَلَا تَخْشَى اللُّصُوصَ، لِعِلْمِهَا أَنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا
فِي صَوْمَعَتِهَا الْحَقِيرَةِ مَا يُغَرِّبُهُمْ بِالسَّرِقَةِ.
وَلَمَّا دَخَلَ السَّاحِرُ الْحَبِيثُ، رَأَاهَا نَائِمَةً عَلَى أَرِيكَةٍ (بِكَّةٍ) حَقِيرَةٍ مِنَ الْخَشَبِ، فِي
حُجْرَةٍ مِنْ غَيْرِ سَقْفٍ. وَكَانَ الْقَمَرُ سَاطِعًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ؛ فَذَنَّا مِنْهَا، وَاسْتَلَّ خِنْجَرُهُ
(أَخْرَجَ سِكِّينَهُ)، ثُمَّ أَقْبَضَهَا مِنْ رِقَادِهَا.



وَمَا انْتَبَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا حَتَّى رَأَتْ رَجُلًا شَاهِرًا (رَافِعًا) خِنْجَرَهُ عَلَيْهَا، مُتَحَفِّزًا
لِطَعْنِهَا بِهِ فِي قَلْبِهَا. فَامْتَلَأَتْ نَفْسُهَا رُغْبًا. فَقَالَ لَهَا السَّاحِرُ الْحَبِيثُ: «انْهَضِي أَيُّهَا
الْمَرْأَةُ، وَافْعَلِي كُلَّ مَا أَمُرُكِ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ. وَحَذَارِ (احْذَرِي) أَنْ تَصِيحِي أَوْ تُخَالِفِي
لِي أَمْرًا، حَتَّى لَا تُعَرِّضِي نَفْسَكَ لِلْهَلَاكِ الْعَاجِلِ. فَإِذَا أَطَعْتَنِي فِي كُلِّ مَا أَمُرُكِ بِهِ، فَلَنْ
أَمْسَكَ بِسُوءٍ.»

فَاطَمَانَتْ قَلِيلًا، وَلَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِذْعَانِ (التَّسْلِيمِ وَالْخُضُوعِ) لَهُ، وَإِطَاعَةِ أَمْرِهِ. ثُمَّ سَأَلَتْهُ: «بِمَاذَا تَأْمُرُنِي، يَا سَيِّدِي؟»

فَقَالَ لَهَا: «أَعْطِينِي ثِيَابَكَ لِأَلْبَسَهَا، وَخُذِي ثِيَابِي بَدَلًا مِنْهَا.» فَلَمْ تَتَرَدَّدْ فِي إِجَابَتِهِ إِلَى طَلِبِهِ. فَقَالَ لَهَا — بَعْدَ أَنْ تَرَيَا بِزِيَّهَا فَلَبَسَ ثِيَابَهَا، وَصَارَتْ هَيْئَتُهُ كَهَيْئَتِهَا: «أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَبْذُلِي جُهدَكَ فِي تَغْيِيرِ مَلَامِحِ وَجْهِ وَأَسَارِيرِهِ (خُطُوطِ جَبِينِي)، حَتَّى يُشَبِّهَ وَجْهَكَ كُلَّ الشَّيْءِ. وَإِنِّي أَقْسِمُ لَكَ: إِنَّنِي لَنْ أَمْسَكَ بِسُوءٍ إِذَا نَجَحْتَ فِي هَذَا الْمُهَمِّ.»

فَادْخَلَتْهُ حُجْرَتَهَا، وَأَضَاعَتْ مِصْبَاحَهَا، وَأَحْصَرَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَصْبَاحِ. وَمَا زَالَتْ تَبْذُلُ جُهدَهَا، حَتَّى أَصْبَحَ السَّاحِرُ يُشَبِّهُهَا كُلَّ الشَّيْءِ. ثُمَّ وَضَعَتْ فِي عُنُقِهِ سَبْحَتَهَا الطَّوِيلَةَ، وَأَعْطَتْهُ عَصَاهَا، وَقَدَّمَتْ لَهُ الْمِرْآةَ؛ فَرَأَى فِيهَا صُورَةً مُكَرَّرَةً لـ «فَاطِمَةَ» الرَّاهِدَةِ. وَقَدْ حَسِبَتْ أَنَّهُ سَيَشْكُرُ لَهَا فِعْلَهَا، وَيَبْرُ بِقَسَمِهِ لَهَا، وَلَكِنْ خَابَ ظَنُّهَا فِيهِ؛ فَقَدْ أَمْسَكَ رَقَبَتَهَا بِيَدَيْهِ، وَضَغَطَ عُنُقَهَا ضَغْطًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَرْحَمْ ضَعْفَهَا وَشَيْخُوحَتَهَا، وَلَمْ يَتْرُكْهَا إِلَّا جُبَّةً هَامِدَةً، ثُمَّ أَلْقَى بِجُبَّتِهَا فِي الْبُيْتِ، وَقَدْ أَثَّرَ (اخْتَارَ) السَّاحِرُ أَنْ يَخْفُفَهَا، وَلَمْ يَشَأْ قَتْلَهَا بِخَنْجَرِهِ، حَتَّى لَا يَلُوثَ مَلَابِسَهُ بِدَمِهَا. وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ جَرِيمَتِهِ الشَّنْعَاءِ، نَامَ — فِي صَوْمَعَتِهَا — نَوْمًا عَمِيقًا إِلَى الصَّبَاحِ.

(٣) حِيلَةُ السَّاحِرِ

ثُمَّ خَرَجَ السَّاحِرُ الْمَاكِرُ مِنْ صَوْمَعَةِ «فَاطِمَةَ» الرَّاهِدَةِ، بَعْدَ أَنْ تَرَيَا بِزِيَّهَا. وَمَا مَشَى فِي الطَّرِيقِ بِضَعِ خُطُواتٍ، حَتَّى أَقْبَلَ النَّاسَ عَلَيْهِ، يَلْتَمُونَ (يُقْبَلُونَ) يَدَهُ وَأَطْرَافَ ثَوْبِهِ، مُتَبَرِّكِينَ، وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ «فَاطِمَةَ» الرَّاهِدَةَ الْمُسْكِينَةَ الَّتِي قَتَلَهَا لَيْلَةَ أَمْسٍ. وَمَا وَصَلَ إِلَى قَصْرِ «عَلَاءِ الدِّينِ» حَتَّى اشْتَدَّ زِحَامُ النَّاسِ حَوْلَهُ. وَكَانَتِ الْأَمِيرَةُ: «بَدْرُ الْبُدُورِ» تُطِلُّ مِنْ نَافِذَةِ قَصْرِهَا؛ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى جَوَارِيهَا، لِتَتَعَرَّفَ سَبَبَ ازْدِحَامِ الْجُمُوعِ الْمُحْتَشِدَةِ. فَلَمَّا عَادَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى سَيِّدَتِهَا، أَخْبَرَتْهَا أَنَّ «فَاطِمَةَ» الرَّاهِدَةَ هِيَ سَبَبُ الزُّحَامِ. وَكَانَتِ الْأَمِيرَةُ مُشْتَاقَةً جِدًّا إِلَى رُؤْيَا هَذِهِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ؛ فَاسْتَدْعَاهَا إِلَيْهَا. وَمَا إِنَّ رَأَتْ السَّاحِرَ الْخَبِيثَ حَتَّى قَبِلَتْ يَدَهُ — وَهِيَ تَحْسَبُهُ «فَاطِمَةَ» الرَّاهِدَةَ — وَطَلَبَتْ

إِلَيْهِ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا اللَّهَ، وَأَنْ يُقِيمَ فِي قَصْرِهَا حَتَّى تَحُلَّ بِهِمْ بَرَكَتُهُ. فَتَظَاهَرَ بِالتَّرَدُّدِ؛ كَأَنَّمَا يَخْشَى أَنْ تَشْغَلَهُ مَظَاهِرُ الدُّنْيَا عَنِ الْعِبَادَةِ. فَلَمَّا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ، قَبَلَ رَجَاءَهَا، وَاخْتَارَ لِسُكْنَاهُ أَحَقَرَ حُجْرَةٍ فِي الْقَصْرِ. وَلَمَّا دَعَتْهُ إِلَى طَعَامِ الْغَدَاءِ، أَبَى — خَوْفًا مِنْ افْتِضَاحِ أَمْرِهِ إِذَا رُفِعَ عَنْ وَجْهِهِ النَّقَابُ (الْبَرْقُعُ) — وَقَالَ لَهَا: «إِنِّي امْرَأَةٌ زَاهِدَةٌ. وَلَيْسَ مِنْ عَادَتِي أَنْ أَكُلَ مِنْ طَعَامِكُمُ الْفَاحِشِ. وَحَسْبِي قَلِيلٌ مِنَ التَّمْرِ أَوْ الْفَاكِهَةِ، أَقَاتَتْ بِهِ فِي حُجْرَتِي، مُحْتَجِبَةً عَنِ النَّاسِ.»

فَلَمْ تُعَارِضْهُ الْأَمِيرَةُ، وَأَجَابَتْهُ إِلَى كُلِّ مَا أَرَادَ.

(٤) بَيِّضَةُ «الرُّخِّ»

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي دَعَتِ الْأَمِيرَةُ: «بَدْرُ الْبُدُورِ» ضَيْفَهَا إِلَى رُؤْيَى حُجْرَتِهَا الْفَاحِشَةِ ذَاتِ الْأَزْبَعِ وَالْعِشْرِينَ نَافِذَةً. فَلَمَّا رَأَاهَا السَّاجِرُ أَظْهَرَ إِعْجَابَهُ الشَّدِيدَ بِجَمَالِهَا، وَحُسْنِ هُنْدَسَتِهَا، وَفَخَامَةِ أَثْنَانِهَا. ثُمَّ قَالَ: «لَيْسَ يُعْزِرُ جَمَالَ هَذِهِ الْحُجْرَةِ إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ: إِذَا اسْتَطَعْتَ تَحْقِيقَهُ، أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْحُجْرَةُ مِثَالِ الْكَمَالِ.»

فَسَأَلَتْهُ الْأَمِيرَةُ مُتَلَهِّفَةً: «وَمَاذَا يُعْزِرُهَا، أَيَّتُهَا الْأُمُّ الطَّاهِرَةُ؟»

فَقَالَ لَهَا: «يُعْزِرُهَا أَنْ تُعَلِّقِي — فِي وَسْطِهَا — بَيِّضَةَ «رُخٍّ»؛ لِيَتِمَّ جَمَالُهَا، وَتُصْبِحَ أَبْدَعُ حُجْرَةٍ فِي الدُّنْيَا.»

فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ: «سَيَتِمُّ ذَلِكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ.»

(٥) غَضَبُ الْجَنِيِّ

وَمَا رَأَتْ الْأَمِيرَةُ «عَلَاءَ الدِّينِ» حَتَّى طَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يُحْضِرَ لَهَا بَيِّضَةَ «رُخٍّ»؛ لِيَتِمَّ بِهَا جَمَالُ حُجْرَتِهَا.

فَذَهَبَ «عَلَاءُ الدِّينِ» إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى، وَأَخْرَجَ الْمُصْبَاحَ مِنْ صَدْرِهِ، وَفَرَكَهُ؛ فَحَضَرَ الْجَنِّيُّ.

وَمَا إِنَّ أَمْرَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» بِإِحْضَارِ بَيِّضَةِ «الرُّخِّ» حَتَّى صَرَخَ الْجَنِّيُّ صَرْخَةً هَائِلَةً، كَأَنَّهُ يُصْعِقُ «عَلَاءَ الدِّينِ» مِنْهَا.

ثُمَّ قَالَ لَهُ الْجِنِّي، وَهُوَ يَكَادُ يَتَمَيَّزُ (يَنْفَطِرُ وَيَنْشَقُّ) مِنَ الْغَيْظِ: «وَيْلُ (شَرُّ وَهَلَاكُ) لَكَ — أَيُّهَا الشَّقِيقُ — أَهَذَا جَزَاءُ إِخْلَاصِي؟ أَلَمْ تَقْنَعْ بِكُلِّ مَا قَدَّمْتُه لَكَ مِنْ جَمِيلٍ؛ حَتَّى تَأْمُرَنِي بِإِخْصَارِ بَيْضَةِ مَوْلَايَ وَسَيِّدِي «الرَّخَّ»؟ أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الْجِنَّ تَحْتَرِمُهُ، وَتُقَدِّسُهُ، وَتَدِينُ لَهُ بِالطَّاعَةِ؟ أَمَا — وَاللَّهِ — لَوْ عَرَفْتُ أَنَّكَ صَاحِبُ هَذَا الْإِفْتِرَاحِ لَقَتَلْتُكَ، وَأَحْرَقْتُ قَصْرَكَ فِي الْحَالِ. وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ شَقِيقَ السَّاحِرِ الْإِفْرِيقِيِّ الْخَبِيثِ هُوَ الَّذِي دَبَّرَ هَذِهِ الْمَكِيدَةَ الَّتِي أَرَادَ بِهَا هَلَكَكَ.»

فَسَأَلَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» مُتَلَطِّفًا: «وَمَنْ هُوَ شَقِيقُ السَّاحِرِ هَذَا؟»
فَقَصَّ عَلَيْهِ الْجِنِّي قِصَّتَهُ. فَشَكَرَ لَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ.
فَقَبِلَ الْجِنِّي عُذْرَهُ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سَبِيلِهِ.

(٦) مَصْرَعُ السَّاحِرِ

وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَظَاهَرَ «عَلَاءُ الدِّينِ» بِالْمَرَضِ. فَأَرْسَلَتِ الْأَمِيرَةُ: «بَدْرُ الْبُدُورِ» تَسْتَدْعِي «فَاطِمَةَ» الْمُزَيَّفَةَ (الْمُزَوَّرَةَ)؛ لِتَشْفِيَ زَوْجَهَا مِمَّا أَلَمَ بِهِ مِنَ الْمَرَضِ، وَقَدْ كَانَتْ قَصَّتْ عَلَى زَوْجِهَا مَا عَرَفَتْهُ مِنْ قِصَّتِهَا.



وَمَا إِنْ اقْتَرَبَ السَّاحِرُ مِنْ «عَلَاءِ الدِّينِ» وَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ مُتَظَاهِرًا بِالدُّعَاءِ لَهُ، حَتَّى لَمَحَهُ «عَلَاءُ الدِّينِ» وَهُوَ يَسْتَلُّ خَنْجَرًا مَاضِيًا (سَرِيعَ الْقُطْعِ) مِنْ حِرَامِهِ.

عَلَاءُ الدِّينِ

فَاسْتَلَّ «عَلَاءُ الدِّينِ» خَنْجَرَهُ مِنْ جَزَامِهِ تَوًّا (فِي الْحَالِ) بِخَفَّةِ نَادِرَةٍ، وَنَهَضَ مُسْرِعًا؛ فَالْقَى السَّاحِرَ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَعْمَدَ الْخَنْجَرَ، (أَدْخَلَ السَّكِّينَ وَدَفَعَهَا) فِي قَلْبِهِ، فَقَتَلَهُ فَوْرًا (فِي الْوَقْتِ وَالسَّاعَةِ).

فَصَاحَتِ الْأَمِيرَةُ مُرْتَاعَةً: «يَا لَهِ! كَيْفَ تَقْتُلُ «فَاطِمَةَ» الزَّاهِدَةَ؟»
فَابْتَسَمَ لَهَا «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَأَظْلَعَهَا عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ.
فَحَمَدَتِ اللَّهُ عَلَى نَجَاتِهِمَا مِنْ شَرِّ هَذَا الْخَبِيثِ.

خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَصَفَا الزَّمَنُ «لِعَلَاءِ الدِّينِ» بَعْدَ أَنْ انْتَصَرَ عَلَى عَدُوِّيهِ، وَخَلَصَ مِنْ شُرُورِهِمَا. وَلَمْ يَنْقُضْ عَلَى هَذَا الْحَادِثِ عَامَانِ حَتَّى مَاتَ الْإِمْبِرَاطُورُ؛ فَوَلِيَ الْأَمْرَ (تَسَلَّمَهُ) — مِنْ بَعْدِهِ — «عَلَاءُ الدِّينِ»، وَزَوْجُهُ: «بَدْرُ الْبُدُورِ»، وَحَكَمَا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ.
وَقَدْ ابْتَسَمَ لَهُمَا الْحَظُّ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا الدُّنْيَا، وَأَحَبَّهُمَا النَّاسُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي عَهْدِهِمَا الْبِلَادُ وَارْتَفَعَتْ، وَاسْتَنْبَتْ (اسْتَقَرَّتْ) فِيهَا الْأَمْنُ، وَعَمَّ الرَّخَاءُ.

